

ناتج الأندلس

من الفتح حتى السقوط

مرجلا لمخطوط (ناتج الأندلس)

لإسماعيل بن إبراهيم بن أمير المؤمنين

تحقيق وتعليق وعرض

أنور محمود زناقي

كلية التربية - جامعة عين شمس

الناشر
مكتبة الثقافة الدينية

تقديم

وصف المخطوطة

تقع المخطوطة في أربع عشرة صفحة بخط شيني بقلم شخص يُدعى: «صدر بن أحمد» ويبدأ المخطوط بقوله «هذا التلخيص للمجاهد الهمام ضيا الإسلام اسماعيل بن ابراهيم بن أمير المؤمنين حفظه الله مفتاحاً لمن يريد مطالعة كتاب نفحة الطيب وهو تاريخ الأندلس للفقير أحمد المقرئ رحمه الله، وصلى الله على محمد وآله وسلم».

وتبدو النسخة قديمة بالية إلى حد كبير وحملت الصفحة الأولى عنوان «تاريخ الأندلس مع رسالة في التصوف» لأنها جُمعت في مجلد واحد مع مجموعة رسائل في التصوف من كتاب رياض النفوس باب كسر الشهوتين: البطن والفرج.

وتوجد المخطوطة في مكتبة الملك عبد العزيز بن سعود تحت رقم «٢٥٣٦»، تحت عنوان «تاريخ الأندلس مع رسالة في التصوف لاسماعيل بن ابراهيم»

(١) وصلا في الأصل.

الطبعة الأولى
٢٠٠٧-١٤٢٨ هـ
حقوق الطبع محفوظة للناسخ
الناشر

مكتبة الثقافة الدينية
٥٢٦ شارع بورسعيد - القاهرة
٢٥٩٣٦٢٧٧ / فاكس: ٢٥٩٣٨٤١١-٢٥٩٢٢٦٢٠
E-mail: alsakafa_aldinay@hotmail.com

بطاقة الفهرسة
إعداد الهيئة المصرية العامة لدار الكتب والوثائق القومية
إدارة الشئون الفنية

بن ابراهيم ، اسماعيل ، تاريخ الاندلس من الفتح حتى السقوط من
خلال مخطوط . تاريخ الاندلس / اسماعيل بن ابراهيم ، تحقيق وتعليق
انور محمود زناتي
ط ١ - القاهرة : مكتبة الثقافة الدينية ٢٠٠٧
١١٢ ص : ٢٤ سم
تكمك : 977-341-363-2
١- فتح الاندلس
٢- الاندلس
١- زناتي ، انور محمود (معلق - محقق) ب- العنوان

ديوى : ٩٥٣,٠٧١

مؤلف المخطوطة

يقول عنه الشوكاني في البدر الطالع^(١)

«السيد اسماعيل بن ابراهيم ابن الحسين بن الحسن بن يوسف بن الامام المهدي لدين الله محمد بن المهدي لدين الله أحمد بن الحسن بن الامام القاسم رحمهم الله ولد سنة ١١٦٥ خمس وستين ومائة والى بصنعاء المحمية بالله ونشأ بها واشتغل بالمعارف العلمية وهو ذو فكر صحيح ونظر قويم رجيح وفهم صادق وادراك تام وكمال تصور وعقل يقل وجود نظيره وحسن سميت فائق وتأدب رائق وبشاشة أخلاق وكرم أعراق أخذ عنى في الفقه والاصول والحديث فقرأ على في شرح الأزهار وشرح الغاية وشفاء الأمير الحسين وأمالى أحمد بن عيسى والأحكام للمهادى وفي البخارى والمهدي وشرحى للمتنقى ومؤلفى المسمى بالدرر وشرحه المسمى بالدرارى وفي الكشف وغير ذلك وهو الان مكب على الطلب له فيه أكمل رغبة وأتم نشاط وعظم اقبال وصار الان يكتب تفسيرى الذي سميته فتح القدير بعد أن كتب غالب مصنفاتى وسمعها على وله اشتغال بالعبادة ومحبة للاستكثار منها ومن حسن أخلاقه واحتماله أنى لم أعرفه مع طول ملازمته لى أنه قد غضب مرة واحدة مع كثرة ما يدور بين الطلبة من

(١) انظر: الشوكاني: البدر الطالع، ج ١، ص ١٣٧.

المذاكرة والمناظرة المفضية في بعض الحالات إلى تكدر الأخلاق وظهور بعض القلق وهذه منقبة عزيزة الوجود وكان والده رحمه الله معدودا من علماء الفقه. وأخوه العلامة العلم ستأتى له ترجمة مستقلة إن شاء الله ولصاحب الترجمة نظم حسن فمنه ما كتب إلى وقد أهدي لى طاقة زهر منشور (اليك يا عز الهدى *** نظام منشور أتى) (هدية أبرزها الر *** بيع فى فصل الشتاء) (حقيرة لكنها *** طابت شذى ومنبتا) (كأصلك الزاكى الذي *** أبدى لنا خير فتى) (فاقبل وسامح ناظما *** قصر فيما نعتا) فأجبت بقولى (يا بن الأولى فى شأنهم *** بهل أتى المدح أتى) (ومن هم القادة إن *** أعضل خطب أو عتا) (بحلق من فضة *** بعثت يا خير فتى) (كانه الجامات فى *** فيروزج قد نعتا) (أو الثريا أو عقو *** د الدر إن مانبتا) (نظمك والمنشور وا *** فانى متى الوصل متى) وتوفي في المحرم من عام ١٢٣٧ هـ.

وقد أقدمت على تحقيق تلك المخطوطة النادرة رغم قيام أستاذي الجليل دكتور محمد عبد الحميد عيسى بتحقيقها عام ١٩٩٠ م. وذلك للأسباب التالية:

- أن الدكتور عيسى (رحمه الله) لم يقم بنشرها إلا في مجلة كلية التربية وبأعداد محدودة لم تتجاوز المئة نسخة راح أغلبها ما بين إهداء وإهدار.

- ظهور بعض المواد الجديدة والدراسات الحديثة رأيت أن إضافتها للدراسة قد تضيف جديد إلى حد بعيد.

- أنني وجدت الفرصة سانحة لعرض تاريخ الأندلس من الفتح إلى السقوط وذلك لأن المخطوط تناول تاريخ مسلسل للأندلس واستعنت بمئات المصادر والمراجع المتخصصة حتى نلّم بتاريخ الأندلس كاملاً إلى حد كبير

- أرفقت مجموعة من الملاحق بالكتاب لا غنى لدارس التاريخ عنها

- أردت نشرها كي يستفيد عدد كبير منها، وبالله التوفيق.

الغرض من المخطوط:

والمؤلف يحدد لنا غرضه من وضع هذا المخطوط فيقول رحمه الله:

لما وجدت تاريخ الأندلس تصنيف الفقيه العلامة أحمد بن محمد المقرئ الراسم له بنفحة الطيب تاريخاً يشتمل على عجائب من أحوال الأندلس في نفسها ثم عجائب أيضاً من الملوك في دولة الإسلام ممن تغلب عليها، ثم من كان له التفات وميل إلى التطلع للأخبار، والميل إلى عجائب الآثار، وكان مبتدئاً للتطلع ربما اشتبه عليه الحال في تملك بني أمية من بعد انقراض دولتهم واستيلاء العباسيين عليهم في العراق والشام وغيرها، وحرصهم على قطع دابرهم قديماً ويقف على ذكر شئ من أحوالهم في

تاريخ من التواريخ أو نقل من النقول في صفة حال أو إضافة خبر أو سياق قضية من أخبار بني العباس فيعجب لذلك، فجعلت هذا المخلص مبيتاً في كيفية استقرارهم في جزيرة الأندلس في الدولة العباسية، وغيرهم ممن تملك في الأندلس وكيف كان ترتيب أحوال الزمان في الدول المتداولة للجزيرة المذكورة من غير ملوك بني أمية من لدن فتح الأندلس إلى هذه الغاية وهي سنة ١١٨٧ هـ

ويقول في فقرة أخرى:

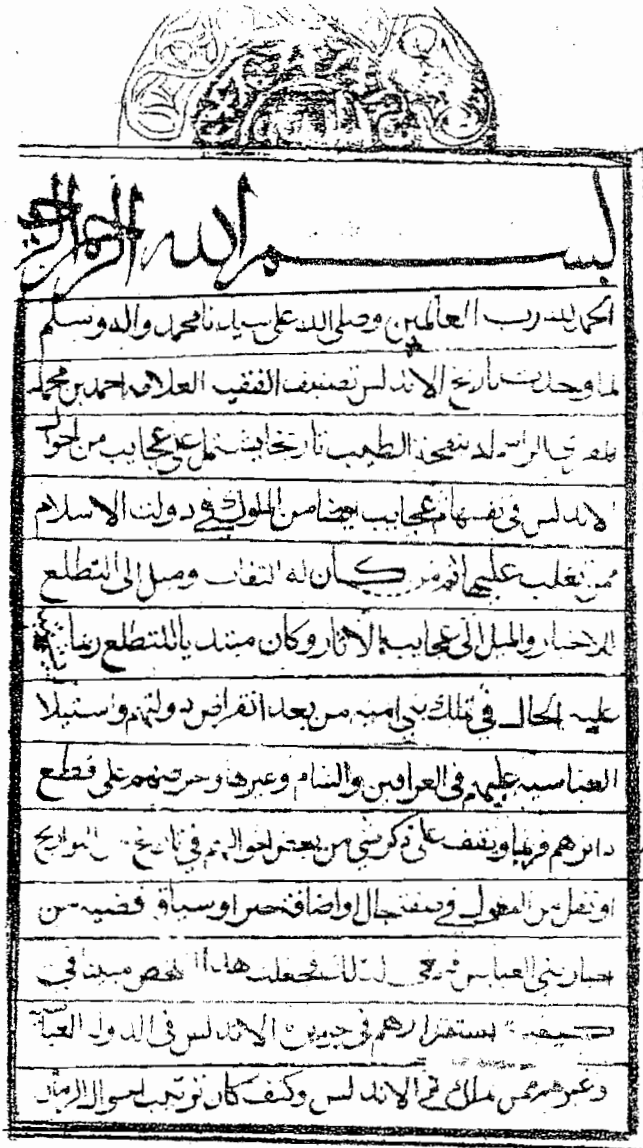
«المراد بها تمهيد كتاب نفحة الطيب وبالله التوفيق يوم الخميس الموافق ٢٣ ذو القعدة سنة ١١٨٧ وصلي الله علي سيدنا محمد وآله وسلم

قلت فمن أراد مطالعة التاريخ أمعن في هذه الكراس، فسهل عليه ضبطه، وأصل التاريخ من أوله به تقديم وتأخير في القصص والروايات، لم يكن مرتب ترتيب محمود، وأنا يضفر بفايدته من أمعن فيه وأما على البلد كله، فلا بد من الالتباس، ولكن الكراسة هذه المفيدة لهذا المعني بعض إفادة».

فائدة المخطوط

يعطي المخطوط ملخص عام ودقيق (رغم قصره) لتاريخ المسلمين في الأندلس من الفتح حتى السقوط، وتعطي فكرة واضحة عن الحياة الثقافية في الأندلس، ناهيك عن كونها ملخصاً لكتاب نفح الطيب من

غصن الأندلس الرطيب للمقري بل وعالج مسألة عدم تسلسل الأحداث التي يوردها المقري في النسخ لأنه يناول موضوع ما ثم يتقل إلى آخر ثم يعود مرة أخرى للحديث السابق مما يجعل التباس الأحداث واضحاً لدى القارئ العادي بل وربما المتخصص.



بمقدمة كتابه أنه ألفه إجابة لطلب الإمام المولى الشاهيني أستاذ المدرسة الجقمقية في دمشق، وقال: «وعزمت على الإجابة لما للمذكور علي من الحقوق، وكيف أقابل بره حفظه الله بالعقوق، فوعدته بالشروع في المطلب عند الوصول إلى القاهرة المعزية». وجعل عنوانه أولاً «عرف الطيب في التعريف بالوزير ابن الخطيب» فلما رأى مادته قد اتسعت لتشمل الأندلس أدباً وتاريخاً، عمد إلى تغيير عنوانه ليصير «نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين ابن الخطيب». وجعل المؤلف كتابه قسمين كبيرين: يشمل الأول رحلة المؤلف، ووصف جزيرة الأندلس وما تحويه من المحاسن، وفتح المسلمين لها، ومن تعاقب عليها من الأمراء والخلفاء إلى ملوك الطوائف، ووصف قرطبة ومحاسنها، وتراجم من رحل من الأندلسيين إلى بلاد المشرق، وفيهم جماعة من النساء، وذكر مذاهب الأندلسيين وسائر أحوالهم إلى خروجها من أيدي المسلمين، ويشتمل القسم الثاني على ترجمة مفصلة لـ «لسان الدين بن الخطيب» وأقواله، وأشعاره، ومشايخه، وغير ذلك. وفي كل باب من أبواب الكتاب يحشد «المقري» مجموعة هائلة من المعلومات التاريخية والجغرافية والأدبية والاجتماعية، منقولة من كتب مختلفة، يعتبر أكثرها في حكم المفقود وما يجعل للكتاب قيمة لا تقدر، ويصفه في طليعة المراجع الأولى لتاريخ أسبانيا الإسلامية، من أيام الفتح إلى آخر أيام استردادها، وفي تاريخ الحقبة الأخيرة هو المرجع الوحيد. ويحوى القسم الأول من الكتاب بعض الرسائل الهامة كاملة، مثل رسالتي «ابن حزم» و«الشقندي» في فضل الأندلس. وفي الفصل الخاص بقرطبة يعقد مقارنات بينها وبين بعض بلاد الأندلس الأخرى. ويروى الطوائف عن أهلها،

ومختارات من أشعار شعرائها، والباب الخاص بالتراجم حافل بالمعلومات القيمة، يرسلها من غير نظام ولكن، بدقة وضبط حسن، والطريقة التي اتبعها في تأليف كتابه أنه جعل المترجم له نواة يجمع حولها الأخبار الجملة، والمعلومات المستفيضة، ويتخذها محوراً يدير حوله الموضوع، ويؤلف بين شوراده ويضم متناثره، ويحاول أن يفهم الرجل عن طريق فهم عصره، واستقصاء معارف زمنه، والإحاطة بالظروف التاريخية التي مهدت له السبيل. وعلى هذا الأسلوب جرى أيضاً في كتابه «أزهار الرياض»، وقد طبع مرات، وصفها د. إحسان عباس في مقدمته لطبعته الصادرة في بيروت ١٩٦٨ م قال: «وخير طبعة ظهرت منه طبعة دوزي في ليدن ١٨٥٥ م، وكان أول ما طبع في المشرق سنة ١٢٧٩ هـ في بولاق، وهي طبعة تفتقر لما في الطبعة الأوربية من دقة علمية.... والكتاب ثمرة زيارة المقري لدمشق، حيث حدث تلاميذه فيها عن لسان الدين ابن الخطيب، فألحوا عليه أن يجمع أخباره في كتاب، وكان أشدهم إلحاحاً المولى أحمد الشاهيني، أستاذ المدرسة الجقمقية) وقد صرح المقري بذلك في مقدمته للكتاب، وأنه ألفه إجابة لطلب المولى الشاهيني، قال: (وعزمت على الإجابة لما للمذكور علي من الحقوق، وكيف أقابل بره حفظه الله بالعقوق، فوعدته بالشروع في المطلب عند الوصول إلى القاهرة المعزية...) وجعل عنوانه أولاً (عرف الطيب في التعريف بالوزير ابن الخطيب) فلما رأى مادته قد اتسعت لتشمل الأندلس أدباً وتاريخاً، عمد إلى تغيير عنوانه ليصير (نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين ابن الخطيب) وهكذا جاء الكتاب في قسمين: قسم خاص بالأندلس في ثمانية أبواب، منها: باب فيمن رحل من أهل الأندلس إلى المشرق، وآخر فيمن وفد عليها من أهل المشرق، وآخر فيها عثر

أحوال الأندلس^(٧) في نفسها ثم عجائب أيضاً من الملوك في دولة^(٨)

عليه من مراسلات أهلها في سقوط إماراتها، أما القسم الثاني فقد ضم المجلدات ٥ و ٦ و ٧ من طبعة ١٩٦٨ إلا أنه لم تخل الأجزاء الأولى من أخبار ابن الخطيب، ففي الجزء الرابع طائفة من مراسلاته. وقد اعتمد المقرئ في تأليفه على مصادر لم يصلنا أكثرها بالصورة التي وصلته، كالمغرب لابن سعيد، فقد اعتمد نسخة أوفى بكثير من هذه التي بين أيدينا، ومطمح الأنفس لابن خاقان، ولكن اعتماده على المطمح الكبير الذي لا نعرفه حتى اليوم، مما يجعل نقوله نسخة متفردة لهذه الكتب. وقد فرغ من الكتاب عشية يوم الأحد ٢٧ / رمضان / ١٠٣٨ هـ ثم ألحق به فصولاً أتمها في ذي الحجة سنة ١٠٣٩ م وانظر في مجلة العرب (س ١٤ ص ٩٥٣) بحثاً حول ضبط نسبة (المقرئ) وأنها على وزن (المهدي) نسبة إلى (مقرة): قرية شرق سهول الحضنة. قال صاحب (تاج العروس): وقد تشدد القاف وبه اشتهرت الآن. وانظر (المقرئ) وكتابه نفح الطيب) محمد بن عبد الكريم: رسالة دكتوراة، الجزائر.

^(٧) في الأصل: عجائب.

^(٨) أطلق المسلمون اسم الأندلس على القسم الذي فتحوه من شبه الجزيرة الأيبيرية وهي تعريباً لكلمة «فانداليشيا» التي كانت تطلق على الإقليم الروماني المعروف باسم باطقة الذي احتلته قبائل الفندال الجرمانية ما يقرب من عشرين عاماً ويسمى بهم الحميري بالأندليش ويرى البعض أنها مشتقة من قبائل الوندال التي أقامت بهذه المنطقة مدة من الزمن، ويرى البعض الآخر أنها ترجع إلى أندلس بن طوبال بن يافث بن نوح عليه السلام والأندلس فتحها القائد طارق بن زياد سنة ٩٢ هـ - ٧١١ م راجع (نفح الطيب للمقرئ: ج ١، ص ١٢٥، والبكري: جغرافية الأندلس

الإسلام من تغلب عليها، ثم من كان له التفات وميل إلى التطلع للأخبار، والميل إلى عجائب الآثار، وكان مبتدياً للتطلع ربما اشتبه عليه الحال في تملك بني أمية^(٩) من بعد انقراض دولتهم واستيلاء العباسيين^(١٠) عليهم في

وأوروبا من كتاب المسالك والممالك، تحقيق عبد الرحمن علي الحجي، بيروت ١٩٦٨، ص ٥٧، والطاهر مكي: دراسات أندلسية، دار المعارف، ١٩٨٠، ص ٥٠.

^(٨) في الأصل: دولت.

^(٩) الخلافة الأموية: (٤٠-١٣٢ هـ / ٧٥٠-٧٥٠ م): بعد الصراع بين علي ومعاوية رضي الله عنهما واستشهاد علي تنازل الحسن بن علي رضي الله عنهما عن الخلافة، واسبس الخلافة الأموية، وكان له جملة من الإصلاحات الإدارية منها: أنه نظم البريد، والشرطة، وأقام ونظم ديوان الخاتم، وغير ذلك من الإصلاحات، فكان أول من وضع أساس الإدارة المتقدمة للدولة الإسلامية الموحدة وتنسب إلى بني أمية وقد أقام الأمويون خلافتين سنتين إحداهما في المشرق وعدد خلفائها ثلاثة عشر وهم: معاوية بن أبي سفيان وابنه يزيد وحفيده معاوية الثاني ومروان بن الحكم وابنه عبد الملك وحفيده الوليد بن عبد الملك وأخوه سليمان وهمر بن عبد العزيز ويزيد بن عبد الملك وأخوه هشام والوليد بن يزيد واليزيد بن عبد الملك ومروان بن محمد، وكان قيام الخلافة سنة إحدى وأربعين للهجرة الموافق لسنة إحدى وستين وستمائة للميلاد، إثر تنازل الحسن بن علي رضي الله عنهما من الخلافة وكان سقوطها على أيدي بني العباس سنة اثنتين وثلاثين ومائة للهجرة، الموافق لسنة تسع وأربعين وسبعمائة للميلاد، أما الخلافة الثانية فكانت في بلاد الأندلس للمزيد راجع (تاريخ الطبري - محمد بن جرير الطبري - تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف،

والبلادري أحمد بن يحيى - فتوح البلدان، تحقيق صلاح الدين المنجد، وتاريخ الدولة الأموية - محمد علي مغربي ط ١٤٠٩ هـ - / ١٩٨٩ م، مطبعة المدني بالقاهرة، مجلدان و الدولة الأموية - يوسف العش، دار الفكر، دمشق، وتاريخ خلافة بني أمية - د. نبيه العاقل - دار الفكر ١٩٧٥ م، وعبد الشافي محمد عبداللطيف: العالم الإسلامي في العصر الأموي، القاهرة، ١٤٠٤ هـ = ١٩٨٤ م

(١١) الخلافة العباسية (١٣٢-٦٥٦ هـ / ٧٥٠-١٢٥٩ م) - Abasid Caliph (١٣٢-٦٥٦ A.D.)

يرجع أصل العباسيين إلى العباس بن عبد المطلب عم محمد بن عبد الله رسول الإسلام، فهم بذلك من أهل البيت. بمساعدة من أنصار الدعوة العلوية استطاع أبو العباس السفاح (٧٤٩-٧٥٤) وبطريقة دموية القضاء على الأمويين ومظاهر سلطتهم، قام هو وأخوه أبو جعفر المنصور (٧٥٤-٧٧٥) باتخاذ تدابير صارمة لتقوية السلطة العباسية، في عام ٧٦٢ تم إنشاء مدينة بغداد. بلغت قوة الدولة أوجها وعرفت العلوم عصر إزدهار في عهد هارون الرشيد (٧٨٦-٨٠٩) الذي تولت وزارته أسرة البرامكة (حتى سنة ٨٠٣) ثم في عهد ابنه عبد الله المأمون (٨١٣-٨٣٣) الذي جعل من بغداد مركزاً للعلوم ورفع من مكانة المذهب المعتزلي حتى جعله مذهباً رسمياً للدولة. وبعد العصر العباسي الأول العصر الذهبي لبنى العباس، فقد سيطر الخلفاء العباسيون خلاله على مقاليد السلطة، ورغم ظهور بعض الدول المستقلة وأهمها الدولة الأموية بالأندلس ودولة الأدارسة بالمغرب والدولة الرستمية في الجزائر ودولة الأغالبة في تونس، إلا أن الدولة ظلت متماسكة حتى نهاية هذا العصر. ثم بدأت في الضعف حتى سقطت على أيدي المغول ٤ من

العراقين والشام وغيرها، وحرصهم على قطع دابرهم^(١١)، قديماً، ويقف على ذكر شئ من أحوالهم في تاريخ من التواريخ أو نقل من النقول في صفة حال أو إضافة خبر أو سياق قضية من أخبار بني العباس فيعجب لذلك، فجعلت هذا المخلص مبنياً في كيفية استقرارهم في جزيرة الأندلس في الدولة العباسية، وغيرهم ممن تملك في الأندلس وكيف كان ترتيب أحوال الزمان في الدول المتداولة للجزيرة المذكورة من غير ملوك بني أمية من لدن فتح الأندلس إلى هذه الغاية وهي سنة ١١٨٧ هـ^(١٢). ثم هذه التعليقة أيضاً سيكون تقريباً للتاريخ المذكور إذا عرفها المطالع لم يشبه عليه مطالعة الكتاب، حيث قد عرف ترتيب الدول فيها ولو فتح بغق الكتاب من أي وجه منه وطالعه على غير ترتيب لعرف له أمر الذي فتح عليه من هو أو من أي التبويات إياه. فأقول والله أعلم: أن أول من دخل الأندلس طارق

صفر ٦٥٦ هـ = ١٠ فبراير ١٢٥٨ م (أخبار الدولة العباسية وفيه أخبار العباس وولده لمؤلف من القرن الثالث الهجري) عن مخطوط فريد من مكتبة مدرسة أبي حنيفة - بغداد) تحقيق الدكتور عبد العزيز الدوري الدكتور عبد الجبار المطليبي دار الطليعة للطباعة والنشر بيروت، وعبد المنعم ماجد: العصر العباسي الأول، ج ١، مكتبة الأنجلو المصرية، ط ٢، ١٩٧٩ م.

(١١) أي إبادتهم.

(١٢) ١١٨٧ هـ = ١٧٧٣ م.

بن زياد^(١٣) مولى^(١٤) موسى بن نصير^(١٥) في خلافة عبد الملك بن مروان^(١٦)

^(١٣) طارق بن زياد الليثي (٥٠-١٠٢ هـ / ٦٧٠-٧٢٠ م): قائد مسلم في جيش الدولة الأموية من قبائل البربر التي تعيش شمال أفريقيا، فبعدما تم للعرب فتح المغرب، اتجهت أنظارهم إلى الأندلس، فأرسلت حملة بقيادة (طريف)، ثم بعد عودته واستيلائه على جزيرة صغيرة، لا تزال تحمل اسمه (تريفال Isla de Tarifa)، وبعدها فتح طارق بن زياد الأندلس سنة ٩٢ هـ / ٧١١ م. ويعتبر طارق بن زياد من أشهر القادة العسكريين في التاريخ و يحمل جبل طارق جنوب أسبانيا اسمه حتى يومنا هذا وقد توفي في سنة ٧٢٠ م. ولد طارق بن زياد في القرن الأول من الهجرة وأسلم على يد موسى بن نصير، وكان من أشد رجاله، فحينما فتح موسى بن نصير طنجة ولى عليها طارقاً سنة ٨٩ هـ وأقام فيها إلى أوائل سنة ٩٢ هـ ولما أراد موسى بن نصير غزو الأندلس جهز جيشاً من ١٢ ألف مقاتل معظمهم من البربر المغربيين، وأسند قيادة الجيش إلى طارق بن زياد وتمكن من فتح الأندلس بالتعاون مع موسى ابن نصير، وليرعرف بعد ذلك مصيره للمزيد راجع (ابن حبيب: افتتاح الأندلس، تحقيق محمود مكي، مجلة معهد الدراسات الإسلامية، مدريد، عدد ٥، ١٩٥٧ م، ص ٢٢٢، وابن عذاري البيان المغرب، ج ٢، ص ٢٥٦، والنفع، ج ١، ص ٣٩٥).

^(١٤) في الأصل: مولا.

^(١٥) أبو عبد الرحمن موسى بن نصير بن عبد الرحمن زيد اللخمي (٦٤٠-٧١٦ م / ١٩ هـ-٩٧ هـ) نشأ في دمشق وولي غزو البحر لمعاوية بن أبي سفيان، فغزا قبرص، وبنى بها حصوناً، وخدم بني مروان ونبه شأنه، وولى لهم الأعمال، فكان على خراج البصرة في عهد الحجاج. لما تولى الوليد بن عبد الملك الخلافة قام بعزل حسان بن النعمان

واستعمل موسى بن نصير بدلاً منه وكان ذلك في عام ٨٩ هـ وكان أن قامت ثورة للبربر في بلاد المغرب طمعا في البلاد بعد مسير حسان عنها فوجه موسى ابنه عبد الله ليخمد تلك الثورات ففتح كل بلاد المغرب واستسلم آخر خارج عن الدولة وأذعن للمسلمين. قام موسى بن نصير بإخلاء ما تبقى من قواعد للبيزنطيين على شواطئ تونس وكانت جهود موسى هذه في إخماد ثورة البربر وطرده البيزنطيين هي المرحلة الأخيرة من مراحل فتح بلاد المغرب العربي. لم يكتف موسى بذلك بل أرسل أساطيله البحرية لغزو جزر الباليار البيزنطية الثلاث مايوركا ومينورقة وإيبيزا وأدخلها تحت حكم الدولة الأموية. بعد أن عمل موسى على توطيد حكم المسلمين في بلاد المغرب العربي، بدأ يتطلع إلى فتح الأندلس التي كانت تحت حكم القوط الغربيين. قام موسى باستئذان الخليفة الوليد بن عبد الملك في غزوها فأشار له الوليد ألا يخاطر بالمسلمين وأن يختبرها بالسرايا قبل أن يفتحها. بعد أن قام موسى بإرسال السرايا واختبار طبيعة الجزيرة الأيبيرية قام بتجهيز جيش بقيادة مولاه البربري المسلم طارق بن زياد، وبمعاونة من يوليان حاكم سبته دخل المسلمون الأندلس وانتصروا على القوط الغربيين انتصاراً حاسماً في معركة وادي لكة عام ٧١٢ م / ٩٢ هـ (ابن عبد الحكم: فتوح، ص ٢٠٧، والنفع ج ١، ص ٢٧٧، وأخبار مجموعة، ص ١٨).

^(١٦) عبد الملك بن مروان (٦٤٦-٧٠٥): خامس خلفاء الأمويين (٦٨٥-٧٠٥). يعد المؤسس الثاني للدولة الأموية التي خلفها أبوه مهنددة بالأخطار من كل جانب. وسع الدولة شرقاً وغرباً. قضى على فتنة عمرو بن سعيد في دمشق وقتله عام ٦٨٩. أعاد العراق إلى حظيرة الدولة بالقضاء على مصعب بن الزبير. ندب الحجاج بن

ثم من تعد نفوذه إليها، وتدويخ بعض مدنها تلاه مولاه الأمير موسي بن نصير، وكان رجلاً صالحاً ديناً وكان أبوه نصير^(١٧) من قواد معاوية^(١٨) بن أبي سفيان^(١٩) وامتنع من الخروج معه على أمير المؤمنين^(٢٠) صلوات الله

يوسف الثقفي لإخضاع عبد الله بن الزبير، فحاصره في مكة وقتله ٦٩٢ هـ. ثم ولي الحجاج على الحجاز ثم الكوفة. أعاد حملات الصوائف والشواقي ضد البيزنطيين، والتي كانت متوقفة منذ أيام معاوية. بدأت في عهده حركة تعريب الدواوين، بإحلال اللغة العربية محل اللغات المحلية واستبدال الموظفين العرب بالأعاجم. كما أقيمت دور لصك العملة التي حملت كتابة عربية. توفي تاركاً دولة قوية الأركان لابنه الوليد. لقب بأبي الملوك لأن أربعة من أبنائه تولوا الخلافة: الوليد وسليمان ويزيد الثاني وهشام.

^(١٧) هو نصير بن عبد الرحمن بن زيد من نسل بكر بن وائل وكان من قادة حرس معاوية بن أبي سفيان، وقد رفض الاشتراك مع معاوية في قتال علي بن أبي طالب رضي الله عنه في معركة صفين ٣٧ هـ.

^(١٨) في الأصل: معاوية.

^(١٩) في الأصل: سفين، ومعاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه (ت ٦٨٠): مؤسس الدولة الأموية. أول خليفة أموي (٦٦١-٦٨٠). أحد دهاة العرب الأربعة: عمرو بن العاص، المغيرة بن شعبة وزيد بن أبيه ومعاوية. أسلم يوم فتح مكة. اشترك مع أخيه يزيد الذي كان والياً على الشام. خلفه معاوية زمن عمر بن الخطاب، وأقره عثمان بن عفان في منصبه. أظهر كفاءة إدارية، واستمال إليه أهل ولايته. خرج على علي بن أبي طالب، وحاربه في موقعة صفين ٣٧ هـ / ٦٥٧، التي انتهت إلى اتفاق

عليه؛ فلما عتب عليه معاوية في التخلف عنه أجاب على معاوية بجواب لا يحببه إلا ذو بصيرة، حتى أسكتته، وجعل معاوية يستغفر الله وهذين الأميرين السابقين^(٢١)، ليرتخذا في الجزيرة سرير ملك ولا مقر لإمارتهم^(٢٢) إنما كانوا جايين في مداين الأندلس لتصحيح فتحها، وتقرير أحوالها. ثم

الطرفين على التحكيم، مما أضعف موقف علي. فلما فشل التحكيم استأنفا القتال، واستولى معاوية على مصر، وأغار على العراق. في ٦٥٩ اتخذ لنفسه لقب خليفة في بيت المقدس، وأخذ لنفسه البيعة من أهل الشام. أعد علي حملة كبيرة ضده، لكنه اغتيل قبل ذلك. تنازل له الحسن بن علي عن الخلافة، فاصبح أول خليفة أموي ٦٦١. اتخذ دمشق عاصمة له. ونجح في توحيد البلاد، بفضل حنكته السياسية، فقد تفادى المنازعات القبلية وصاهر قبيلة كلب العربية الجنوبية. ينسب إليه إنشاء ديوان البريد، وديوان الخاتم، واتخاذ مقصورة في الجامع. توسعت الدولة الإسلامية في عهده شرقاً حتى بلاد ما وراء النهر، وغرباً في شمال أفريقيا. حارب الروم، وأغار عليهم باستمرار برأ وبحراً في حملات الصوائف التي كانت تجري كل صيف، والشواقي التي كانت تجري كل شتاء. حاول فتح القسطنطينية، لكنه فشل أمام أسوارها المنيعه. استخلف ابنه يزيداً قبل موته، فكان أول من حول الخلافة الإسلامية إلى وراثية [البداية والنهاية (وفيات سنة ٦٠ هـ)؛ ومناهج السنة ٢/ ٢٠١-٢٢٦؛ وابن الأثير ٤/ ٢؛ والإصابة ٣/ ٤٣٣].

^(٢٠) يقصد علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

^(٢١) هذا الحوار لم يورده المقرئ في نفع الطيب.

^(٢٢) لم يتم الاستقرار بسبب الانشغال في أمور الفتح والجهاد.

أحوالها. ثم كان ما كان من الأمير موسى في خلافة سليمان^(٢٣) ثم وليها من

^(٢٣) سليمان بن عبد الملك: هو أبو أيوب سليمان بن عبد الملك بن مروان الحكم، خليفة من خلفاء بني أمية، ولد بدمشق ببلاد الشام وولي الخلافة يوم وفاة أخيه الخليفة الوليد بن عبد الملك عام ٩٦ م وذلك يوم السبت الموافق منتصف جمادى الآخرة ومدة خلافته لا تتجاوز الستين وسبعة شهور وخمسة عشر يوماً. لقد كان الناس يتباركون به ويسمونهم مفتاح الخير وذلك لأنه أذهب عنهم سنة الحجاج بن يوسف الثقفي وأطلق الأسرى وأخلى السجون وأحسن إلى الناس واستخلف عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه فكان يقال عنه (فتحة خير وختم خير). ولقد كان فصيحاً وسبعة شهور وخمسة عشر يوماً. لقد كان الناس يتباركون به ويسمونهم مفتاح الخير وذلك لأنه أذهب عنهم سنة الحجاج بن يوسف الثقفي وأطلق الأسرى وأخلى السجون وأحسن إلى الناس واستخلف عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه فكان يقال عنه (فتحة خير وختم خير). ولقد كان فصيحاً وسبعة شهور وخمسة عشر يوماً. لقد كان الناس يتباركون به ويسمونهم مفتاح الخير وذلك لأن سليمان بن عبد الملك يتصف بالجمال وعظيم الخلقة والنضارة طويلاً أبيض الوجه مقرون الحاجبين. فصيحاً بليغاً معجباً بنفسه تولى سليمان بن عبد الملك خلافة الدولة الأموية وهي بالغة الازدهار واسعة الثراء غنية بالموارد فسيحة الأرجاء متماسكة البناء مليئة بالرجال وأصحاب المواهب الفذة، وكانت الدولة الأموية في عهد سلفه الكريم الوليد بن عبد الملك قد شهدت اتساعاً في الرقعة هيأتها لها حركة الفتوح الإسلامية في الشرق والغرب استهل سليمان بن عبد الملك خلافته بما ينبئ عن سياسته الجديدة؛ فاستعان في إدارة الدولة وتصريف شئونها بعظماء الرجال وصالحهم، وأحاط نفسه بأهل الرأي والفطنة والدين والعلم من أمثال ابن عمه عمر بن عبد

بعده عبد العزيز بن موسى بن نصير^(٢٤)، واتخذ لنفسه سريراً^(٢٥) ومقراً

=

العزیز ورجاء بن حيوة عني الخليفة سليمان بن عبد الملك بفتح القسطنطينية عاصمة الدولة البيزنطية، وكان فتحها حلماً راود خلفاء الأمويين وحاصرت جيوشه القسطنطينية وفي أثناء الحصار توفي الخليفة سليمان بن عبد الملك وهو مقيم بدابق يتابع الأخبار عن الجيش في (١٠ من صفر ٩٩ هـ) ولذا يعده بعض العلماء شهيداً؛ لأنه كما يقول ابن كثير في البداية والنهاية «تعهد ألا يرجع إلى دمشق حتى تفتح أو يموت؛ فمات هناك فحصل له بهذه النية أجر الرباط في سبيل الله». وقد توج سليمان بن عبد الملك أعماله بما يدل على حرصه على مصلحة المسلمين؛ فاختار عمر بن عبد العزيز قبل موته ليكون ولياً للعهد ويخلفه من بعده، فلما ولي عمر بن عبد العزيز الخلافة أصدر أوامره بسحب القوات الإسلامية المحاصرة للقسطنطينية والعودة إلى الشام.

^(٢٤) عبد العزيز بن موسى بن نصير: عندما ترك موسى وطارق الأندلس في ذي الحجة ٩٥ هـ، عُيِّن عبد العزيز والياً واتخذ إشبيلية عاصمة للأندلس. واستمر أكثر من سنتين، حتى مقتله بدأ والي عبد العزيز بترتيب وإقرار ما تم فتحه وتثبيت واستكمال ما لم يتم، فقام بكل ذلك وأداه بأحسن وجه، فكان أول وال للأندلس، وضع أسساً للسياسة الإسلامية اقتفاها الولاة بعده كان عبد العزيز تقياً صواماً قواماً قوياً وحريصاً، مع نشاط وإقدام، كما كان إدارياً وعسكرياً ماهراً، إلى جانب حبه للإصلاح والقيام به دون تأخر نظم أحوال البلاد، لريثته ذلك عن إتمام الفتح، قضى على الجيوب.. أشادت مصادر بجهوده لخدمة الأندلس، حيث «صَبَطَ سُلْطَانَهَا، وَصَمَّ نَشْرَهَا، وَسَدَّ ثُغُورَهَا، وَافْتَتَحَ فِي وِلَايَتِهِ مَدَائِنَ كَثِيرَةً، مِمَّا كَانَ قَدْ بَقِيَ عَلَى أَيْيِهِ

=

موسى منها، وكان من خير الولاة، إلا أن مدته لم تَطُلَّ». وكانت سياسته تجاه المجتمع تتسم بالرفق والاعتدال والوفاء بالعهود في كل الظروف، حتى لو قَوَّتْ نفعا تذهب بعض المصادر إلى أن عبدالعزيز تزوج أرملة لُدْرِيْق ملك القوط، واسمها أجيلونا (Egilona) أَيْلَة) ويسمونها: أم عاصم. وغير واضح إذا كانت قد أسلمت، ولا أستبعده لا سيما بعد الزواج، وأُرشح أنه أقدم على ذلك لكسب وُدِّ قومها القوط، وإلا فالتوقع أنها كانت كبيرة، ولا مانع من قبول هذه الرواية، والأمر مألوف لا سيما في الأندلس لكن هنالك مانع وألف مانع من قبول بقية القصة، وهي أنها دعتة للتنصر ففعل، والبسته التاج كالمملوك، ووضع مدخلا يضطر الداخل إليه للانحناء!! ولذلك قُتِلَ. الغريب.. من أين أتت هذه الحكاية؟! ألا يمكن أن تكون كنسية؟ لا فرق بينها وبين حكاية ابنة يُليان وفتح الأندلس، بل أكثر إغراقاً كيف يمكن أن يُقبَل هذا لإنسان تموج حياته بالتقوى والزهد والجهاد، ومن أسرة معروفة به. وفي أقل القليل أنه بعد توليه الأندلس استمر في الفتح والجهاد، وحتى حياته الخاصة بقي في بيته البسيط القريب أو المجاور للمسجد الذي كان ملتقى المسلمين ومجمع مداولاتهم وموضع عبادتهم، الذي كان هو يؤمهم فيه، حتى لدى مقتله في صلاة الصبح، وكان يمكنه أن يسكن أحد القصور المتاحة له، حيث كانت إشبيلية إحدى عواصم أربعة يتداولها القوط الذي يبدو أن بعض أولاد موسى دخلوا الأندلس مع أبيهم (٩٢هـ) مجاهدين، كان منهم عبدالعزيز ومروان، وكُلّف كل منهما بمهمات الفتح. وأن عبدالعزيز كان في ركاب والده خلال فتحه لمدين قبل طليطلة، فوجهه لاستكمال أو إعادة فتح إشبيلية، ثم فتح لَبْلَة Niebla وباجة Beja (البرتغال)، وأقام بإشبيلية عقب شوال سنة ٩٣هـ، ويوم ترك موسى الأندلس =

إشبيلية^(٢٦) ثم أنه قُتِلَ لأنه أبوه موسى لما عاقبه سليمان وصادره وبلغ من في الأندلس وثبوا عليه وقتلوه، وكان مثل أبيه وجده خيراً فاضلاً ثم ولي بعده

عام ٩٥هـ اختاره والياً لكن لدينا معلومات أن عبدالعزيز خلال ذلك، فتح مناطق في شرقي الأندلس قبل ابتداء ولايته من مثل تُدمير، ووقع مع أهلها صلحاً، وهي من الوثائق الأندلسية القليلة التي وصلتنا، ونصها: «هذا كتاب من عبدالعزيز بن موسى لتدمير... رجب سنة ٩٤هـ». والظاهر أنه فتح مناطق هناك، ربما قبل ولايته وخلصها في شرقي الأندلس لعله حتى بلنسية Valencia وكذلك في غرييه، حتى استقرت الأمور، ثم قام بالتنظيم والحفاظ على أهداف الفتح والعمل على إقرار الأوضاع (أنظر مقال العلامة عبدالرحمن علي الحجي عبدالعزيز بن موسى بن نُصَيْر.. رائب الصدع وفتح شرق الأندلس وغربه بمجلة المجتمع عدد ١٧٤١ لسنة ٢٠٠٧م).

^(٢٥) سريراً: أي مقر للحكم.

إشبيلية (بالإسبانية: Sevilla) اختارها موسى بن نصير قبل رحيله للمشرق لتكون مقراً لابنه عبد العزيز بسبب قربها من بلاد المسلمين وإشبيلية هي عاصمة منطقة الأندلس ومحافظة إشبيلية في جنوب إسبانيا، وتقع على ضفاف نهر الوادي الكبير. يزيد عدد سكان المدينة بضواحيها عن ١.٥ مليون نسمة. اشتهرت أيام الحكم الإسلامي لإسبانيا وكان عبد الرحمن الثاني قد أمر ببناء أسطول بحري ودار لصناعة الأسلحة فيها في أواسط القرن التاسع الميلادي من أشهر حكامها المعتمد بن عباد وسميت (حمص) نسبة لنزول جند الشام فيها أثناء الفتح الإسلامي. من معالمها منارة الخير الدا التي بنيت بأمر من السلطان أبو يوسف يعقوب المنصور الموحيدي.

أيوب بن حبيب اللخمي^(٢٧) ستة أشهر ثم الحر بن عبد الرحمن الثقفي^(٢٨) ستة أشهر ثم من بعده السمع بن مالك الكناني^(٢٩) في خلافة عمر بن عبد

أيوب بن حبيب اللخمي (٧١٦-٧١٦هـ): أيوب بن حبيب اللخمي ابن أخت موسى بن نصير تولى مدة ستة شهور بعد مقتل عبد العزيز بن موسى بن نصير وتحول إلى قرطبة وجعلها دار إمارة في أول سنة تسع وتسعين وقيل سنة ثمان وتسعين. والجدير بالذكر أن الجنود هم الذين اختاروه من بينهم بعد مقتل عبد العزيز بن موسى.

الحر بن عبد الرحمن (٩٧ - ١٠٠هـ / ٧١٦ - ٧١٩م): حكم سنتين وعدة أشهر. وفي عهده ثار عليه رجل يدعى بيلايو Pelayo (وهو بلاي عند ابن حيان وبلاية عند ابن الخطيب) حرض المستقرين في مرتفعات أشتوريش على العصيان فانتخبوه أميراً عليهم، واتخذ من مغارة كبادونغا Cavadonga (ويسمى ابن حيان صخرة بلاي) مقرآله

السمع بن مالك الخولاني (١٠٠ - ١٠٢هـ / ٧١٩ - ٧٢١م): ولاه على الأندلس الخليفة عمر بن عبد العزيز لنزاهته وشدة إيمانه فأعاد تنظيم البلاد واستقرت الأندلس أمنياً ومالياً وأنشأ قنطرة قرطبة وأنشأ المدارس ثم تحرك في أواخر عهده نحو فرنسا فأخضع جنوبها وما حول باريس من مدن، لكن لقلّة جيشه استطاع الروم والقوط محاصرته وقتله وكل من معه. وال أنيدلس تولى حكم الأندلس في عهد الخليفة الأموي عمر بن عبد العزيز وذلك لشجاعته و أمانته قام بعدة اصلاحات في الولاية فقد اعاد انشاء قنطرة قرطبة بعد ان تهدمت قناد عملية الجهاد و الفتح في ماطق غالة بجنوب فرنسا وقاد الجيش الاسلامي بنفسه حتى قابل الفرنسيين في معركة تولوز و قد قاتل الفرنسيين حتى استشهد في الموقعة في يوم

العزير^(٣٠) رضي الله عنه، وأمره أن يخمس أرض الأندلس وبني قنطرة^(٣١)

٩ ذو الحجة عام ١٠٢هـ (أخبار مجموعة، ص ٢٤، وابن عذاري، ج ٢، ص ٢٦، والمقري: ج ١، ص ٢٣٥ وج ٣، ص ١٥).

عمر بن عبد العزيز: ولد في المدينة المنورة على اسم جدّه «عمر بن الخطاب»، فأُمّ عمر بن عبد العزيز هي «أم عاصم بنت عاصم بن عمر بن الخطاب». ولا يُعرف على وجه اليقين سنة مولده؛ فالمؤرخون يتأرجحون بين أعوام ٥٩ هـ، ٦١ هـ، ٦٢ هـ، وإن كان يميل بعضهم إلى سنة ٦٢ هـ وأياً ونشأ بالمدينة على رغبة من أبيه الذي تولى إمارة مصر بعد فترة قليلة من مولد ابنه، وظلّ والياً على مصر عشرين سنة حتى توفي بها (٦٥ هـ - ٨٥ هـ = ٦٨٥ - ٧٠٤م). وقبل أن يلي عمر بن عبد العزيز الخلافة تمرّس بالإدارة والياً وحاكماً، ورأى عن كثب كيف تُدار الدولة، وخبر الأعوان والمساعدين؛ فلما تولى الخلافة كان لديه من عناصر الخبرة والتجربة ما يعينه على تحمل المسؤولية ومباشرة مهام الدولة، وكانت لديه رغبة صادقة في تطبيق العدل. وأهم ما قدمه عمر هو أنه جدّد الأمل في النفوس أن بالإمكان عودة حكم الراشدين، وأن تمتلئ الأرض عدلاً وأماناً وسباحة ولم تطل حياة هذا الخليفة العظيم الذي أطلق عليه «خامس الخلفاء الراشدين»، فتوفي وهو دون الأربعين من عمره، قضى منها سنتين وبضعة أشهر في منصب الخلافة، ولقي ربه في ٢٤ رجب ١٠١ هـ = ٦ من فبراير ٧٢٠م) [الاعلام للنزكي ٢٠٩/٥، و((وسيرة عمر ابن عبد العزيز)) لابن الجوزي؛ و (الخليفة الزاهد) لعبد العزيز سيد الاهل].

(٣١) في الأصل: قنطرت.

قرطبة^(٣٢)، وكانت ولايته في رأس المائة، واستشهد غازيا بأرض أفرنجة^(٣٣) في سنتين بعد المائة ثم عبد الرحمن بن عبد الله الغافقي^(٣٤) ثم عنبسة بن سحيم الكلبي^(٣٥)، أرسل به عاملا يزيد من أبي سلمة^(٣٦) عامل

^(٣٢) وفي ذلك قال الشاعر: بأربع فاقت الأمصار قرطبة.... منهن قنطرة الوادي وجامعها

هاتان ثنتان والزهراء ثلاثة.... والعلم أعظم شئ وهو رابعها.

^(٣٣) الإفرنج والإفرنجية: اسم لسكان أوروبا ما عدا الأروام والأترار وهي مغرب فرنك أي حر والواحد افرنجي والأنثى افرنجية (محيط المحيط (٢ / ص ١٧٦٦). وقال البعض أنها من الأصل الألماني وتعود لاسم شعب جرمانى استولى على غالبية (فرنسا حالياً) فسميت فرنسة (نحلة اليسوعي: غرائب اللغة العربية، ص ٢٨٤).

^(٣٤) لريكن الغافقي والياً بعد على الأندلس بل كان جنداً من جنود السمح بن مالك لكنه لعب دوراً حيوياً في لرشمل الجنود بعد تعرضهم للهزيمة في معركة «طولوشة» وسوف يأتي ذكر توليه بعد ذلك.

^(٣٥) عنبسة بن سحيم (١٠٣ - ١٠٧ هـ / ٧٢١ - ٧٢٦ م): هو عنبسة بن سحيم الكلبي. ولاه بشر بن صفوان، أمير أفريقية، على الأندلس سنة ١٠٢ هـ أزدادت الأندلس إستقراراً في عهده وأوغل في غزو الفرنج وفتح قرقشونة، واجتاز فرنسا فعبّر نهر الرون إلى الشرق، أصيب بجراحات في بعض الوقائع فكانت سبباً في وفاته (ابن القوطية، ص ١٣، وأخبار مجموعة، ص ٢٤، وابن عذاري، ج ٢، ص ٢٧، والمقري، ج ١، ص ٢٣٥).

^(٣٦) يقصد يزيد ابن أبي مسلم: هو أبو العلاء يزيد بن مسلم دينار الثقفي. كان مولى الحجاج بن يوسف الثقفي وكاتبه، وكان فيه كفاية ونهضة، قدمه الحجاج بسببها الحجاج لما حضرته الوفاة استخلفه على الخراج بالغراق - فلما مات الحجاج أقره الوليد بن عبد الملك على حاله ولم يغير عليه شيئاً. وقيل إن الوليد هو الذي ولاه بعد موت الحجاج، وقال الوليد يوماً: مثلي ومثل الحجاج وابن أبي مسلم كرجل ضاع منه درهم فوجد ديناراً. ولما مات الوليد وتولى أخوه سليمان عزل يزيد بن أبي مسلم وبعث مكانه يزيد بن المهلب بن أبي صفرة الأزدي وأحضر إليه يزيد بن أبي مسلم في جامعة، وكان رجلاً قصيراً دميماً قبيح الوجه عظيم البطن تحتقره العين، فلما نظر إليه سليمان قال: أنت يزيد بن أبي مسلم؟ قال: نعم أصلح الله أمير المؤمنين قال: لهن الله من أشركك في أمانته وحكمك في دينه، قال: لا تفعل يا أمير المؤمنين، فإنك رأيتني والأمور مدبرة عني، ولو رأيتني والأمور مقبلة علي لاستعظمت ما استصغرت ولاستجللت ما احتقرت، فقال سليمان: قاتله الله، فما أسد عقله وأعضب لسانه! ثم قال سليمان: يا يزيد، أترى صاحبك الحجاج يهوي بعد في نار جهنم أم قد استقر في قعرها؟ فقال يزيد: لا تقل ذلك يا أمير المؤمنين، فإن الحجاج عادى عدوكم ووالى وليكم، وبذل مهجته لكم، فهو يوم القيامة عن يمين عبد الملك وعن يسار الوليد، فاجعله حيث أحببت. وفي رواية أخرى: إنه يحشر غداً بين أبيك وأخيك، فضعهما حيث شئت، قال سليمان: قاتله الله، فما أوفاه لصاحبه! إذا اصطنعت الرجال فلتصنع مثل هذا، فقال رجل من جلساء سليمان: يا أمير المؤمنين، اقتل يزيد ولا تستبقه، فقال يزيد: من هذا؟ فقالوا: فلان بن فلان، قال يزيد: والله لقد بلغني أن أمه ما كان شعرها يوازي أذنيها، فما تمالك سليمان أن ضحك وأمر بتخليته. ثم

كشفت عنه سليمان فلم يجد عليه خيانة ديناراً ولا درهماً، فهم باستكتابه، فقال له عمر بن عبد العزيز: أنشدك الله يا أمير المؤمنين أن تحيي ذكر الحجاج باستكتابك كاتبه، فقال: يا أبا حفص، إني كشفت عنه فلم أجد عليه خيانة، فقال عمر: أنا أوجدك من هو أعف عن الدينار والدرهم منه، فقال سليمان: من هذا؟ فقال: إبليس، ما مس ديناراً ولا درهماً بيده وقد أهلك هذا الخلق. فتركه سليمان.

وحدث جوربة بن أساء أن عمر بن عبد العزيز بلغه أن يزيد بن أبي مسلم في جيش من جيوش المسلمين، فكتب إلى عامل الجيش أن يردّه وقال: إني لأكره أن أستنصر بجيش هو فيهم.

ونقل الحافظ أبو القاسم المعروف بابن عساكر في «تاريخ دمشق» في ترجمة يزيد المذكور عن يعقوب أنه قال: في سنة إحدى ومائة أمر يزيد بن أبي مسلم على إفريقية، ونزع إساعيل بن عبيد بن أبي المهاجر مولى بني مخزوم، فسار أحسن سيرة، وفي سنة اثنتين ومائة قتل يزيد.

وقال الطبري في تاريخه الكبير: وكان سبب ذلك أنه كان فيما ذكر عزم أن يسير فيهم بسيرة الحجاج بن يوسف في أهل الإسلام الذين سكنوا الأمصار ممن كان أصله من السواد من أهل الزمة فأسلم بالعراق، ممن ردهم إلى قرارهم ورساتيقهم، ووضع على رقابهم على نحو ما كانت تؤخذ منهم وهم على كفرهم، فلما عزم على ذلك توامروا، فأجمع رأيهم على قتله فقتلوه، وولوا على أنفسهم الوالي الذي كان قبل يزيد بن أبي مسلم، وكتبوا إلى يزيد بن عبد الملك: إنا لم نخلع أيدينا عن الطاعة، ولكن

يزيد بن أبي مسلم سامنا ما لا يرضى به الله والمسلمون فقتلناه وأعدنا عاملك، فكتب إليهم يزيد بن عبد الملك: إني لم أرض ما صنع يزيد بن أبي مسلم. وأقر محمد بن يزيد على إفريقية، وكان ذلك في سنة اثنتين ومائة.

قال الوضاح بن خيثمة: أمرني عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى بإخراج قوم من السجن، وفيهم يزيد بن أبي مسلم، فأخرجتهم وتركته فحقد علي، وإني بإفريقية إذ قيل قدم يزيد والياً، فهربت منه، وعلم بمكاني وأمر بطلي، فظفر بي وحملت إليه، فلما رأي قال: طالما سألت الله تعالى أن يمكّنني منك، فقلت: وأنا والله لطالما سألت الله أن يعيذني منك، فقال: ما أعاذك الله، والله لأقتلنك والله لأقتلنك ولو سابقي فيك ملك الموت لسبقته. ثم دعا بالسيف والنطع فأتي بهما، وأمر بالوضاح فأقيم على النطع وكثف، وقام وراءه رجل بالسيف؛ وأقيمت الصلاة فخرج يزيد إليها، فلما سجد أخذته السيوف. ودخل إلى الوضاح من قطع كتافه وأطلقه، وأعيد إلى الولاية محمد بن يزيد مولى الأنصار، والله أعلم.

قلت: كان الوضاح حاجب عمر بن عبد العزيز، فلما مرض أمر الوضاح بإخراج المحابيس، فأخرجهم سوى يزيد المذكور، فلما مات عمر هرب الوضاح إلى إفريقية خوفاً من يزيد، وجرى ما جرى، وكان مرض عمر بخنصرة.

هكذا قاله الطبري: محمد بن يزيد، وابن عساكر قال: إساعيل بن عبيد الله، والله أعلم بالصواب؛ وقوله «وأحضر إليه يزيد بن أبي مسلم في جامعة» فالجامعة: الغل، لأنها تجمع اليدين إلى العنق، وقوله «وكان رجلاً قصيراً دميماً» الدميم: بالبدال

أفريقية^(٣٧) من قبل الأموية، كان له التقديم والتأخير^(٣٨) في عمال^(٣٩) الأندلس وقتل هذا عنبة غازيا في بلاد الأفرنج، ثم عذره^(٤٠) وقيل يحیی

=

المهمل، القبيح المنظر، ومنه قول عمر رضي الله عنه «لا تزوجوا بناتكم من الرجل اللميم فإنه يعجبهن منهم ما يعجبهم منهن» وأما الذميم بالذال المعجمة فإنه المذموم، وكذا قول ابن الرومي الشاعر المشهور

^(٣٧) أطلق الفينيقيون لفظ افري على أهل البلاد الذين كانوا يسكنون حول مدينتهم طاقة (المدينة القديمة) وعاصمتهم قرطاجنة (المدينة الحديثة) وعنهم أخذ اليونان، فأطلقوه على أهل البلاد الأصليين الذين يسكنون المغرب من حدود مصر إلى المحيط، ومن ثم سُميت هذه المنطقى افريكا أي «بلاد الأفري» (للمزيد راجع: حسين مؤنس: فتح العرب للمغرب، مكتبة الثقافة الدينية، ص ١).

^(٣٨) وذلك بسبب أن الأندلس كانت في ذلك الوقت تابعة لولاية أفريقية، ويقوم الوالي في القيروان بتعيين أو عزل عمال الأندلس.

^(٣٩) العامل: يُقصد به الوالي أو الحاكم.

^(٤٠) لا تذكر المصادر أية أعمال لعذرة هذا بسبب قصر مدة ولايته وكان عذرة بن عبد الله الفهري أحد جند عنبة بن سحيم وحين استشهد عنبة في أرض غالة (فرنسا حالياً) نهض عذرة لجمع شتات الجند وتولى أمر الأندلس لمدة شهرين (من شعبان - شوال من عام ١٠٧ هـ) أما المصادر المسيحية تنسب اليه أعمال حربية خطيرة (ابن عذاري، ج ٢، ص ٢٧، والمقري ج ٣، ص ١٧، وجوزيف رينو، تاريخ غزوات العرب، ترجمة شكيب أرسلان ١٩٦٦، ص ٧٣).

بن سلمة الكلبي^(٤١)، نفذ من عامل أفريقية لما استدعا أهل الأندلس عاملاً بعد قتل عنبة فأنفذه بشر بن صفوان^(٤٢) وكان عاملاً في أفريقية بعد يزيد بن أبي سلمة، وأقام يحيى هذا ستين ونصف، ثم قدم إليها عثمان بن أبي نعسة^(٤٣) من قبل عامل أفريقية وعزله لخمسة أشهر ثم بعده حذيفة من الأحوص^(٤٤)، ثم من بعده الهيثم بن عدي الكلبي^(٤٥)، ثم محمد بن عبد الله

^(٤١) يحيى بن سلمة الكلبي: تولى الحكم في الأندلس لمدة ستين ونصف اعتباراً من شهر شوال سنة ١٠٧ هـ / ٧٢٦ م.

^(٤٢) قال المقرئ في المواعظ والاعتبار في ذكر الخطب والآثار الجزء الثاني (٦٠ من ١٦٧): «فولي: بشر بن صفوان الكلبي: من قبل يزيد بن عبد الملك قدمها السبع عشرة خلت من رمضان سنة إحدى ومائة وفي إمرته نزل الروم تنيس ثم ولاه يزيد على إفريقية فخرج إليها في شوال سنة اثنتين ومائة واستخلف أخاه حنظلة. وهو الذي جعل على الأندلس عنبة بن سحيم الكلبي وبعد استشهاده وجه إلى الأندلس يحيى بن سلامة الكلبي.

^(٤٣) عثمان ابن أبي نعسة: تولى الأندلس فترة وجيزة من قبل عامل أفريقية عبيد بن عبد الرحمن السلمي.

^(٤٤) حذيفة بن الأحوص: حكم الأندلس لمدة لا تزيد عن ستة أشهر من قبل والي إفريقية عبيدة بن عبد الرحمن السلمي (ابن القوطية، ص ٣٨، وابن عذاري، ج ٢، ص ٢٧).

الأشجعي^(٤٦)، وفي نسخة الغافقي^(٤٧) وغزا بلاد الأفرنج^(٤٨) وأصيب

=

^(٤٥) الهيثم بن عدي: كان يتبع سياسة القمع القوة مع الناس فعزل وكان من قبيلة كنانة،
تولى الحكم في المحرم سنة ١١١ هـ / ٧٢٩ م، وكانت توليته من قبل عبدة بن عبد
الرحمن السلمي عامل أفريقية وكانت ولايته عشرة أشهر وقيل سنة وشهرين.
^(٤٦) عبد الله الأشجعي: تولى الأندلس مدة شهرين فقط.

^(٤٧) مؤلف المخطوط كان يعتقد أن محمد بن عبد الله الأشجعي أو الغافقي هو الذي تولى
بعد الهيثم بن عدي ولكن الحقيقة أن الأشجعي تولى بالفعل وجاء بعده عبد الرحمن
الغافقي وسيأتي ذكره.

^(٤٨) يقصد عبد الرحمن الغافقي. عبد الرحمن الغافقي (توفي ١١٤ هـ / ٧٣٢ م): بطل
معركة بلاط الشهداء «تور بواتيه» وقد تولى هذا القائد المجاهد الولاية بعد
استشهاد السمع بن مالك فعزم على الجهاد وفتح أوروبا كلها ووصولاً إلى
القسطنطينية وجعل البحر الأبيض المتوسط بحيرة إسلامية خالصة، فجهز جيشاً من
محبي الجهاد وعشاق الشهادة، وبلغ تعداد الجيش سبعون ألفاً وفي روايات أخرى
يصل إلى المائة ألف خرج بهم من شمال الأندلس إلى مدينة «آرل» [Arles]: مدينة في
جنوب فرنسا على نهر الرون شمالي مرسيليا الواقعة على ضفاف نهر «الرون»
ففتحها وأدب أهلها الذين نقضوا العهد مع المسلمين، ثم اتجه شمالاً إلى بورجو
ففتحها وفتح الله عليهم منها غنائم فاقت الحد والتصور.. وكان فتح المدينة تمهيداً
لفتح مدن أخرى أهمها «ليون» و «بيزانسون» و «سانس SENS» اهتزت أوروبا
لهذا الفتح الرهيب و سقوط جنوب فرنسا في يد المسلمين في أشهر قلائل فنادت

=

بالتجهز للقاء المسلمين.. وكان قائد الفرنجة (شارل مارتل).. اتجه الجيش الفاتح
بعد ذلك شمالاً إلى مدينة تور (TOURS) و سرعان ما فتحها أمام أعين شارل
مارتل الذي ما لبث أن انسحب جنوباً إلى بواتيه (Poitiers) ليلاقي المسلمين في
غاباتها الكثيفة.. و وصل جيش المسلمين المتعب ليجد جيشاً مهولاً فاقهم عدداً و
عدة إذ أنه أمل أوروبا الأخير لوقف زحف المسلمين راح الجيشان يترقبان كل منهما
منتظر لما سيفعله الجيش الآخر عدة أيام ضاق فيها المسلمون بالانتظار فبدأوا
بالهجوم و استمرت المعركة الرهيبة ثمانية أيام حتى لاح النصر للمسلمين.. لولا
الغنائم.. تلك الغنائم المهولة التي غنموها من حملتهم كانت معهم، و للأسف
استطاعت فرقة من جيش الفرنجة أن تصل إليها.. فدب الصريخ في معسكر
المسلمين أن أنقذوا الغنائم.. فاضطرب نظام الجيش و تدهورت المقدمة.. و ثبت
الغافقي محاولاً أن يعيد ترتيب جيشه لكن سهم الموت كان سريعاً فارتقى شهيداً
اضطرب نظام الجيش المسلم و زاده اضطراباً استشهاد قائده فأعمل الفرنجة فيهم
السيف حتى كادوا أن يفنؤهم ولم يفصل بينهم إلا ظلام الليل.. لينسحب المسلمون
تاركين وراءهم كل شيء و الجيش الذي فتح جنوب فرنسا في أشهر حرصاً على نشر
الدين و طلب الشهادة، هزم عندما غفل للحظة عن هدفه الحقيقي و سعى وراء
عرض زائل قال الشاعر الإنكليزي (سوزي) يصف جيوش المسلمين التي غزت
أوروبا بعد فتح الأندلس:

(جموع لا تحصى.....)

(من عرب، وبربر، وروم خوارج.....)

(وفرس، وقبط، وتتر، قد انضوا جميعاً تحت لواء واحد.....)

=

جيش المسلمين، وكانت له فيهم وقائع^(٤٩) عظيمة، وولايته ستة أشهر أو ثمانية أشهر، ثم ولي بعده عبد الملك بن قطن الفهري^(٥٠) وكان ظلوماً

^(٤٩) في الأصل: وقائع.

^(٥٠) عبد الملك بن قطن: هو عبد الملك بن قطن بن نهشل بن عبد الله الفهري، شهد وقعة الحرة أيام يزيد بن معاوية سنة ٦٣م ونجا من مسلم بن عقبة المري فيمن نجاً فقصد أفريقيا ثم دخل الأندلس واستقر في قرطبة ولما قتل عبد الرحمن الغافقي سنة ١١٤هـ ولاه الجند إمارة الأندلس وغزا البشكنس سنة ١١٥هـ وأقره عبيد الله بن الحبحاب أمير أفريقية ثم عزله سنة ١١٦هـ وولى عقبة بن الحجاج السلوي القيسي فلم يخرج عبد الملك من قرطبة بل بقي فيها إلى أن توفي عقبة بن الحجاج بعد قليل فنادى به أهل الأندلس أميراً عليهم سنة ١٢٢هـ.

لما انهزم بلج القشيري بعد موقعة (بقدورة) ولجأ إلى مدينة (سبته) طلب إلى عبد الملك بن قطن أمير الأندلس أن يسمح له بعبور البحر إلى الأندلس فنصحه عبد الرحمن بن حبيب الفهري وكان قد لجأ إليه بعد تلك الموقعة ألا يقبل قدوم بلج إلى الأندلس مع جماعته ولكن عبد الملك أجازته بالدخول وأرسل إليه مراكب تحمله وتحمل جماعته واشترط عليه أن يعينه على قمع ثورة البربر حين علموا بمقتل زعمائهم في معركة (الأصنام) و (القرن) التي هزمهم فيها حنظلة الكلبي أمير أفريقية وردهم عن القيروان واشترط عليه أيضاً أن يغادر الأندلس بعد قمع الثورة. فوافق بلج على ذلك ودخل الأندلس ونفذ وعده بقمع الثورة ولما دعاه ابن قطن للخروج وثب عليه بلج وأصحابه وأخرجوه من قصره وكان شيخاً هرمًا قد بلغ التسعين من العمر فقتله بلج وصلبه واستولى على إمارة الأندلس.

(يجمعهم إيمان ثائر، راسخ الفتوة.....)

(وحية متلظية كالشرر، واخوة مذهلة لا تفرق بين البشر.....)

(ولم يكن قادتهم اقل منهم ثقة بالنصر بعد أن ثملوا بحميا الظفر.....)

(واختالوا بتلك القوة القوية التي لا يقف أمامها شيء.....)

(وأيقنوا أن جيوشهم لا يمكن أن يلم بها الكلال.....)

(فهي دائماً فتية مشبوبة كما انطلقت أول مرة...)

(وآمنوا بأنها حيثما تحركت مشى في ركاها النصر والغلب...)

(وأنها ستندفع دائماً إلى الأمام...)

(حتى يصبح الغرب المغلوب كالشرق.....)

(يطأ طيء الرأس إجلالاً لاسم محمد....)

(وحتى ينهض الحاج من أقاصي المتجمد...)

(إلى أن يطأ بأقدام الإيمان الرمال المحرقة..)

(المنتشرة على صحراء العرب...)

(ويقف فوق صخور مكة الصلدة...) (ابن عبد الحكم، ص ٢١٦، وأخبار مجموعة،

ص ٢٤، وابن عذاري، ج ٢، ص ٢٧، وتاريخ غزوات العرب، ص ٨٨، وعنان:

دولة الإسلام، ج ١، ص ٩٠ ومؤنس، فجر الأندلس، ص ٢٦٥، وسالم: تاريخ

المسلمين وآثارهم، ص ١٤٢، وعلي المياح، العوامل السوقية والتعبوية وأثرها على

الفتوحات العربية الإسلامية في فرنسا، مجلة الجمعية الجغرافية العراقية، بغداد،

١٩٦٩، ٥م، ص ١٢٩).

غشوما جائراً^(٥١) في حكمه وغزا أرض البشكنس^(٥٢) وولي بعده عقبة بن الحجاج السلوي^(٥٣) وقبل بلج بن بشر^(٥٤) السلوي ولبث خمس سنين، وكان محمود السيرة وفتح أربونة^(٥٥) ثم من بعده قيل وثب عليه، وأنه تبع

^(٥١) في الأصل جايرأ، وجائراً: ظالماً

^(٥٢) البشكنس vascos: هم الشعب الذي يسمى اليوم بشعب (الباسك basque) وإقليم البشكنس: هو إقليم الباسك: (بالباسكية Euskadi) هو إقليم يمتد عبر جبال البرتات الغربية على الحدود ما بين فرنسا وإسبانيا تصل مساحتها لحوالي ٢٠ ألف كم^٢. وتعتبر مدينة بلباو عاصمة له. ويمتد الإقليم حتى شاطئ خليج البسكاي. وتعتبر المنطقة بشكل عام منطقة تاريخية يقطنها شعب الباسك ويتحدثون لغتهم الخاصة بهم التي تعرف بالباسكية، تطالب بالانفصال عن إسبانيا، ومن أشهر المنظمات الانفصالية، منظمة إيتا الانفصالية. من أهم مدن الإقليم مدينة فيتوريا وسان سباستيان

^(٥٣) عقبة بن الحجاج السلوي (١١٦ - ١٢٣ هـ / ٧٣٤ - ٧٤١ م): أحد كبار القادة الذين أعادوا الفتوحات في شمال إسبانيا وجنوب فرنسا وتصدى للقوط داخل الأندلس وأصبحت أربونة أهم القواعد الإسلامية في جنوب فرنسا وأخذ ثار شهداء بلاط الشهداء واستشهد هناك (المقري، ج ٣، ص ١٩، وابن عذاري، ج ٢، ص ٢٩)

^(٥٤) بلج بن بشر بن عياض القشيري الهوزاني... من ١٢٤ هـ إلى ١٢٥ هـ.

^(٥٥) هي التسمية العربية لمدينة (ناربون narbonne) التي تقع جنوبي شرقي فرنسا. كانت وقت الفتح الإسلامي تابعة لإسبانيا وجزء من الدولة القوطية وقاعدة لإمارة

بعد هذا عبد الملك بلج المتقدم، ثم ثعلبة بن سلامة العاملي^(٥٦)، ثم أبو بكر الخطار بن ضرار الكلبي^(٥٧)، ثم ثوابة بن سلامة الجذامي^(٥٨)، ثم يوسف بن عبدالرحمن الفهري^(٥٩).

=

(سبتمانيا septemanie) أي المدن السبعة. فتحها القائد العربي السمع بن مالك سنة ١٠١ هـ (٧٢١ م) لحماية حدود الأندلس الشمالية حتى استردها شارل مارتل بعد ذلك

^(٥٦) ثعلبة بن سلامة بن جحدم بن عمرو بن الأجدم بن ثعلبة بن مازن بن مزين بن أبي مالك بن أبي عزم بن عوكلان بن الزهد بن سعد بن الحارث. تولى حكم الأندلس سنة ١٢٤ هـ / ٧٤٢ م وتم تعيينه بناء على ما عهد به الخليفة هشام بن عبد الملك حين ولي الجيش الذي وجهه إلى أفريقية كلثوم بن عياض، فإن مات فالولاية لابن أخيه بلج، فإن أصيب فثعلبة، وكانت ولايته في حدود عشرة أشهر.

^(٥٧) بل هو: أبو الخطار حسام بن ضرار الكلبي القضاعي (تولى ١٢٥ هـ) عينه هشام بن عبد الملك أميراً على الأندلس عندما اضطربت أحوالها وقال في ذلك: لا يصلح الأمر هناك إلا بالقحطانيه وكان زعيم قضاعه ويمن والملاحظ ان الزعامه في قضاعه كانت في بني كلب قبل الاسلام حيث كان زهير بن جناب الكلبي اول من اجتمعت عليه قضاعه، استقرت احوال الأندلس في عهد ابو الخطار حتى اثرت تهمه اهانه احد القيسيين ويدعى الصميل بن حاتم الكلابي العامري الذي اذكى الفتنة بين قيس ويمن واستطاع ان يزيج ابو الخطار من ولاية الأندلس بل ومن الدولة الامويه وقتله بيده بمساعدة بعض اليمانيه من جذام سنة ١٣٠ هـ. وكان من أبرز شعراء تلك الفترة، وإن لم يصلنا غير القليل من أشعاره وهو القائل:

وتم في بعض النسخ تقديم وتأخير في ترتيب العمال المتداولين مع الإجماع على تساميتهم وعددهم وإلى هنا انتهى خبر الولاة على الأندلس من غير موارثة بل ملكوا فيها أفراداً وعددهم عشرين، ثم كانت دولة بني أمية بعد إنقراض، ملكهم بالعباسية، فأول من تملك منهم في الأندلس عبد الرحمن بن معاوية^(٥٨) بن هشام بن عبد الملك بن مروان، وهو أنه لما كان ما

فليت ابن جواس يخبر أنني... سعت به سعي امرئ غير غافل

قتلت به تسعين تحسب أنهم... جذوع نخيل صرعت في المسائل

ولو كانت الموتى تباع اشترته... بكفي وما استثنت منها أنا ملي

^(٥٨) تولى الحكم في رجب ١٢٧ هـ / ٧٤٦ م، ولايته سنة أو أكثر (نفح الطيب، ج ٣، ص ٢٤).

^(٥٩) هو يوسف بن عبد الرحمن بن حبيب بن أبي عبيدة بن عقبة بن نافع الفهري القرشي انشغل بمواجهة الثورات ففقد المسلمون في عهده السيطرة على جنوب فرنسا فسيطر عليها الروم والقوط وتأسست مملكة مسيحية في الشمال بقيادة ألفونس سميت مملكة ليون.

^(٦٠) عبد الرحمن الداخل (صقر قريش): بعد سقوط الدولة الأموية في الشرق استطاع فتى صغير يدعى عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك أن يتجو بنفسه من بطش العباسيين، وفر من دمشق تلاحقه جيوش العباسيين حتى وصل إلى المغرب. كان هذا الفتى الصغير صقر قريش أو عبد الرحمن الداخل قال فيه الخليفة العباسي أبو جعفر المنصور فيما بعد (عبد الرحمن الداخل هو صقر قريش الذي تخلص بكيده

من سنن الأسنة عبر القفر وركب البحر حتى دخل بلداً أعجيباً (الأندلس) فمصر الأمصار وجند الأجناد وأقام ملكاً بعد إنقطاعه بحسن تدبيره وشدة عزمه). أوفد الداخل مولاه بدرأ إلى الأندلس واتصل بالموالي الأموية وكان عددهم كبيراً ولما تمهدت له الأمور بعث له بدر يستدعيه فتوجه نحو البيرة وكان يحكم الأندلس حينذاك يوسف بن عبد الرحمن الفهري والصميل ولما وجد أن أمر الداخل بدأ في الانتشار أرسل إليه الهدايا والوفود لإستمالته لكنه ما أعطاهم العهد أنه سيخضع لهم وجمع جيوشه وقرر الهجوم على قرطبة فاشتبك مع جيوش الفهري والصميل وانتهت المعركة بانتصار الداخل وسيطر على باقي الأندلس عام ٧٥٠ م وانصرف إلى تشجيع أهل بيته من الأمويين على الوفود إليه ومن ضمنهم عبد الملك بن عمر المرواني الذي أكرمه الداخل وعينه حاكماً على إشبيلية. لكن الأمر لم يستتب للداخل بسهولة ويسر فقد نشبت في عهده عدة ثورات من أنصار الخليفة العباسي وبدعم منه، كان أهمها ١ - ثورة يوسف الفهري الذي حشد أنصاره في ماردة وحدث قتال عنيف بينه وبين جيش الدولة بقيادة أمية بن عبد الملك المرواني والذي عندما سمع بضخامة جيوش الفهري فر هارباً فأمر عبد الملك بقتل ابنه عقاباً له على فراره وذهب وقاد الجيش بنفسه وانتهت المعركة بهزيمة الفهري وإستشهاد عبد الملك المرواني. ٢ - ثورة العلاء بن مغيث الليثي الذي أرسل من قبل الخليفة العباسي أبو جعفر المنصور للسيطرة على الأندلس والتف حوله الكثير من الناس ورفع الرايات السود شارعات بني العباس آنذاك. توجه ابن المغيث نحو إشبيلية وسيطر عليها وحاصر الداخل في قرمونة شهرين ثم فوجئ العلاء بفتح الحصون وخروج سبعمائة رجل أحدثوا مقتلة في جيش العلاء وقتلوه وقطعوا رأسه، ويقال أن الداخل

لف رأس العلاء بن المغيث بعلم العباسيين وبعث به للمنصور، فقال الأخير «عرضنا هذا البائس لحفنه وما هذا (الداخل) إلا شيطان وما فيه من مطمع والحمد لله الذي جعل بيننا وبينه بحراً» ٣ - ثورة شقنا بن عبد الواحد الذي ادعى أنه من نسل فاطمة الزهراء فصدقه البربر وتجمعوا حوله واستولوا على قورية وسانتا ماريّا فتتبعه الداخل وتغلب عليه وفر شقنا إلى الجبال وقتل على يد أصحابه الذين أتوا برأسه للداخل.

٤ - ثورة عبد الرحمن الصقلي الذي أتى من إفريقيا داعياً للعباسيين عند ساحل تدمير فسار إليه الداخل وحرّق سفينته فهرب الصقلي إلى الجبال فالتسّى إلى أن إغتاله أحد أصحابه. ١ - ولأول مرة يثور الأمويون على الداخل بقيادة سليمان بن يقطان الأعرابي الذي إستعان بشارلمان ملك الفرنجة وقام جيش شارلمان وحاصر سرقسطة ولكن ثورة اندلعت في فرنسا أضطرت شارلمان للعودة إلى بلاده وفك الحصار. ٢ - ثار عليه ابن أخيه المغيرة بن الوليد طمعاً في الحكم فقتله الداخل وأرسل الأموال إلى أخيه الوليد وطلب منه الرحيل عن الأندلس.

حكم الداخل أربعة وثلاثون عاماً واجه فيها خمسة وعشرون ثورة إستطاع أن يخضعها كلها وانقطعت الأندلس في عهده عن باقى الخلافة الإسلامية، لكنها كانت أكثر استقراراً، مما أتاح للمسلمين إقامة حضارة فريدة في تلك البلاد ما زال العالم أجمع يذكرها بإجلال.

ومما يذكر للداخل من إنجازات أنه
كون جيشاً قوياً وأسس أسطولاً بحرياً
بنى سور ومسجد قرطبة

كان من أمر بني أمية وانقراضهم، وتبع عبد الله بن علي^(١١) صاحب دعوتهم، وأبا مسلم^(١٢) لبني أمية، وأجلوهم عن باطن الأرض فضلاً عن

إستجلب أشجار النخيل والرمان لزراعتها في الأندلس.

كان ورعاً تقياً يخطب في المساجد ومات في ١٧٢ هجرية والأندلس هادئة مستقرة (أخبار مجموعة، ص ٥١، وابن عذاري، ج ٢، ص ٤١، ابن القوطية، ص ٢١).

^(١١) عبد الله بن علي: ويُعرف بعبد الله الأصغر وهو عبد الله بن علي بن عبد الله بن العباس، طلب الخلافة لنفسه بعد وفاة السفاح ودخل في حروب مع أبو جعفر المنصور وقائده أبا مسلم الخراساني ودارت معارك عنيفة هُزم فيها عبد الله بن علي ١٣٧ هـ / ٧٥٤ م ففر إلى البصرة عند أخيه سليمان وأعطاه أبو جعفر الأمان وحبسه في قصره وقرر قتله بعد نحو عشر سنوات ١٤٧ هـ / ٧٦٤ م (للمزيد، راجع، عبد المنعم ماجد: العصر العباسي الأول ج ١، مكتبة الأنجلو المصرية، ص ٥٨ وما يليها).

^(١٢) أبو مسلم الخراساني: هو إبراهيم أبو مسلم عبد الرحمن بن مسلم. أصله فارسي. يكنى أبا إسحاق، عرف بعدائه للأمويين، وانضم إلى الدعوة العباسية واستطاع جمع الفلاحين والمؤيدين من الفرس حوله، لهذا تقرب منه أبو العباس السفاح الذي صار الخليفة العباسي الأول. وكان أبو مسلم الخراساني في بداية الدولة العباسية مقرباً من الخليفة العباسي الأول، لكن الخليفة الثاني (أبو جعفر المنصور) خشي من تعاظم قوته وكثرة مؤيديه فدبر مؤامرة لقتله كان أبو مسلم الخراساني المحرك الأساسي للدعوة العباسية في بلاد فارس، وعرف بنو العباس كيف يكسبونهم، وعرف هو كيف يجمع حوله الموالي والشيعية الناقمين على حكم بني أمية

ظاهرها^(٦٣) فكان هذا عبد الرحمن بن معاوية من جملة من هرب من الشام مستخفيا إلى الأندلس مع أخبار يطول فيها الشرح، وكان بنو أمية يرون من طريق الحساب أن يمتلك بالمغرب، وكان عبد الرحمن هذا قد سمع ذلك من عمه مسلمة شافها فلما وصل الأندلس بعد مخاطرات وأهوال مع اضطراب الأندلس بقيام العباسية وفيها كل شيعة بني أمية مازال يتطلب التملك مع المقدور حتي استولي عليها في خلافة أبو الدوانيق^(٦٤) وكان

كان من المفروض أن يتقاسم أبو مسلم الخراساني السلطة هو وأعوانه ممن ضحوا في سبيل إقامة الدولة العباسية وهدم الدولة الأموية. لقد كان أبو مسلم مهندس الثورة، غير أن الخليفة الثاني أصدر أوامره بتصفيته. وبهذا زادت نغمة الشيعة والموالي الذين عانوا الكثير وفعلوا الكثير من أجل الإطاحة بالبيت الأموي، والذين كانوا عباد الثورة العباسية، التي ما كانت لتنتصر بدونهم.

^(٦٣) فقد كانوا ينبشون قبورهم حتى لا يبقى منهم أثر.

^(٦٤) أبو الدوانيق هو: أبو جعفر المنصور: مدة ولايته من (١٣٦ - ١٥٨ هـ): وهو الخليفة العباسي الثاني، تولى بعد وفاة أخيه أبي العباس السفاح ويعتبر المنصور المؤسس الحقيقي للدولة العباسية بنى العاصمة الخالدة بغداد وانفرد بالحكم وأسس خلافة قوية مرهوبة الجانب وسمي أبو الدوانيق لتشدده في محاسبة العمال والصناع على الحبة والدانق، وهو مقدار لا يزيد على سدس درهم راجع (تاريخ الخلفاء ص ٣٠٣، تاريخ القضاء ص ٣٩٦، تاريخ اليعقوبي (٢ / ٣٦٤، خلاصة

عبد الرحمن هذا كثيرا ما يشبه أحوال أبو الدوانيق من الجرأة والأقدام على العظام^(٦٥)، وكانت أمه بربرية^(٦٦)، وأم أبو الدوانيق كذلك وكان نحيلًا أعور أشم جسورا غشوما ثم ولي الأمر من بعده هشام بن عبد الرحمن^(٦٧).

الذهب المسبوك ص ٥٩؛ نهاية الأرب (٢٢ / ٦٦) وحسن إبراهيم حسن، تاريخ الإسلام ج ٢، ص ٣٥.

^(٦٥) في الأصل: العظام.

^(٦٦) البربر: هم سكان المغرب العربي الأصليون، فهم ليسوا أورييون ولا أفارقة لأنهم لا يتسمون بأي صفة من صفات العرقين السابقين ويظهر للعيان أن الملامح التي يحملونها مشرقية سواء كانت البشرة البيضاء كما حال قريش والجميع يعلم مواصفات النبي القرشي صلوات الله وسلامه عليه وإما بشره حنطاوية فاتحة اللون. هناك أيضا ثورة مشهورة قام بها البرابرة وتسمى ثورة البربر في الأندلس وأشار المؤرخ شارل أندري جوليان في كتابه تاريخ أفريقيا الشمالية «إلى أن البربر لم يطلقوا على أنفسهم هذا الاسم، بل أخذوه من دون أن يروموا استعماله عن الرومان الذين كانوا يعتبرونهم أجنبيا عن حضارتهم، وينعتونهم بالهملج، ومنه استعمل العرب كلمة برابر وبرابرة. (انظر، التيجاني بلعوالي، البربر الأمازيغ، ازدواجية التسمية ووحدة الأصل وإيلي لوبلان، تاريخ الجزائر والمؤرخون، باريس ١٩٣١).

^(٦٧) هشام بن عبد الرحمن الداخل: حكم في الفترة ١٧٢-١٨٠ هـ / ٧٨٩-٧٩٦ م، لقب بهشام الرضا وكان من أفضل أمراء الأسرة الأموية حسبا يقول المؤرخون لما تولى الإمارة بعهد من أبيه فثار عليه أخواه سليمان وعبد الله ينازعانه الإمارة وامتدت ثورتها إلى عهد ابنه الحكم الأول. وقد تمكن هشام من صد هجمات ملوك الفرنجة

ثم ابنه الحكم بن هشام^(٦٨) ثم ابنه الأوسط^(٦٩) ثم ابنه المنذر بن محمد^(٧٠)،

بذنبه وتحلى بالتقوى والورع ومات زاهداً عابداً (ابن القوطية، ص ٦٧، وابن حزم،
جمهرة أنساب العرب، ص ٥٠١، عنان، ج ١، ص ٢٥٧)

^(٦٩) عبد الرحمن الأوسط: حكم في الفترة ٢٠٦-٢٣٨ هجرية هو عبد الرحمن بن الحكم
بن هشام بن عبد الرحمن الداخل كان من أهل التقوى والثقافة والذوق الاجتماعي
ومع أن الفتن لم تنقطع في عهده إلا أنه استطاع بحسن سياسته أن يخمدوها. ومن تلك
الفتن فتنة بين اليمينية والمضرية على منطقة تدميراً قمعها الحكم وأمر بهدم تدمير
وأقام مكانها مرسى للسفن أسميت مرسية وأحمد عصيان أهل طليطلة الذين تحالفوا
مع ملك جليقية، وتابع غزو ممالك الفرنجة غزت سواحل الأندلس في عهده وقيل
في عهد ولده على اختلاف بين المصادر قبائل همجية تدعى النورمان أو الفايكونغ
وسيطرت على إشبيلية فأرسل لهم عبد الرحمن جيشاً بقيادة قائد البحرية الأندلسية
خشخاش بن سعيد فهزمهم وأرغمهم على الإرتداد إلى بلادهم في أواخر عهد
الأوسط ظهر بعض المتعصيين من النصارى بقيادة راهب يدعى إليخيو الذي أرسل
أحد أنصاره إلى المسلمين في عيد الفطر فقام وسب الإسلام والرسول فقدمه الناس
للقاضى فأمر بإعدامه وأخذ إليخيو بإرسال أنصاره الرجل تلو الآخر يسبون
الإسلام والرسول فكان مصيرهم الإعدام جميعاً ثم انتهك النصارى مسجد قرطبة
ودنسوه بالأوساخ فأمر الأوسط بإعدام كل من فعل ذلك. أخذ إليخيو يقلب
النصارى على الأوسط حتى وصلت أصداء الحركة إلى أوروبا وكادت أن تحدث فتنة
طائفية فعقد الأوسط مؤتمراً كنائسياً في قرطبة وفيه أعلن القساوسة إدانة هذه الحركة
وتم حبس المحرضين عليها مقابل أن يُلقب من ماتوا من قبل بالشهداء وأعدم
إليخيو بعدها. ثم من بعده عهد محمد بن عبد الرحمن الأوسط حكم في الفترة ٢٣٨-

واستولى على بعض قلاعهم وحصونهم وأضاف إلى جامع قرطبة المئذنة وجدد بناء
القنطرة على نهر قرطبة المعروف باسم (الوادي الكبير) وكان السمع بن مالك أمير
الأندلس قد بناها سنة ١٠٠ هجرية. وفي عهده دخل مذهب الإمام مالك إلى
الأندلس..

^(٦٨) الحكم بن هشام (الريضي): حكم في الفترة ١٨٠-٢٠٦ هجرية. رغم الأزمات
التي شهدتها عهده إلا أنه تمكن من إخماد ثورة عميه فقتل سليمان واستسلم عبد الله
في عهده سقط شمال الأندلس في يد الفرنجة بقيادة لويس بن شارلمان وانصرف عن
الدين والجهاد لللهو والمجون فبدأ الفقهاء يثيرون العامة عليه حتى حدث إحتكاك
بسيط بين أحد العامة وأحد ممالك الحكم، وبسبب ما وقع ثار الأهالي في الضاحية
الجنوبية من قرطبة عرفت لاحقاً باسم ثورة الربض حاصر الناس الحكم وجنوده في
قصره فاستعان الحكم بابن عمه عبيد الله البلنسى وحاجبه عبد الكريم بن مغيث
فاتتلا حيلة اخترقا بها الحصار ليبيت أهالي الربض وأشعلوا فيها النار فذهب الزعر
في صفوف أهل الربض وانقلبوا لديارهم لإنقاذ ذويهم ففك الحصار عن الحكم فأمر
بالمهجوم على الربض قتل في ذلك الهجوم من قتل وطرده الحكم بن هشام الباقي من
البلاد فهاجر أهل الربض إلى فاس بالمغرب ثم إلى الإسكندرية وأقاموا فيها عشر
سنوات ثم طردوا منها فتوجهوا لجزيرة كريت واستولوا عليها وأسسوا دولة
للربضين استمرت مائة عام إلى أن استعادها البيزنطيون لقب الحكم بن هشام بسبب
هذه الثورة بالحكم الريضي إلا أنه في آخر عهده تاب وندم على هذه الفعلة واعترف

ثم أخيه عبد الله بن محمد^(٧١) ثم ابنه عبد الرحمن بن الناصر^(٧٢) ولعل أن

٢٧٣ هجرية بدأت في عهده فترة الضعف والتمزق وظهرت دويلات الطوائف الأولى فانقسمت الأندلس لدول مستقلة صغيرة وظهرت ثورة عمر بن حفصون واستمرت أكثر من أربعين عاماً. وكان ابن حفصون محتالاً وقاطع طريق يتسمى لأسرة من أصل قوطي أسلمت بعد الفتح لكنهم أسروا نصرايتهم واستطاع أن يجمع حوله المولدين وهم الذين تزوج آبائهم من العرب بعد الفتح وكون جيشاً واحتل منطقة بربشتر وكان الأمير محمد يرسل له القوات لكنها كانت تهزم.

^(٧٠) المنذر بن محمد: حكم في الفترة ٢٧٣-٢٧٥ هجرية ورث حكماً ممزقاً وأرهقته ثورة عمر بن حفصون، لكن حكمه لم يدم سوى سنتين، فلما توفي خلفه أخوه عبد الله.

^(٧١) عبد الله بن محمد: حكم في الفترة ٢٧٥-٣٠٠ هجرية زادت الأندلس في عهده تمزقاً لكنه هزم بن حفصون عند حصن بلال ففر ابن حفصون للجنوب، وفي عهده ثارت إشبيلية على الحكم الأموي.

^(٧٢) عبد الرحمن الناصر: حكم في الفترة ٣٠٠-٣٥٠ هجرية: هو عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن الحكم الرضي، بن هشام بن عبد الرحمن (الداخل) أبو المطرف، الناصر لدين الله الأمير الثامن من أمراء الدولة الأموية بالأندلس. أمه أم ولد اسمها (ماريا) أو (مزنة) كما تسميها الروايات العربية. أول من تلقب بالخلافة من رجال الدولة الأموية، تسمى بها لما رأى ما آلت إليه الخلافة العباسية من وهن. خلف جده عبد الله بعهد منه، وكان عمه المطرف قد قتل أباه ظلماً، لأن أباه كان المرشح لولاية العهد، فأراد أن يزيحه ليظفر بها ولما علم جده عبد الله بها لحق أباه من ظلم جعل ولاية العهد إليه، وتولى تربيته ونال نصيباً كبيراً من

رعايته، كان جزاء عمه القتل، فقد قتله أبوه عبد الله، بعد أن تأكد من براءة أخيه مما عزاه إليه. بويع عبد الرحمن بالخلافة بعد وفاة جده عبد الله سنة ٣٠٠ هـ ولم يكن قد تجاوز الثالثة والعشرين من عمره، فكان أول من بايعه بالإمارة أعمامه لحب جده له ولزهدهم بها، لما كان يحيط بها من أخطار. فقد كانت الأندلس مضطربة بالمخالفين ونيران المتغلبين، وقد تمكن عبد الرحمن من إخماد تلك النيران، وخاض غمار حروب طويلة، فأخضع العصاة وصفا له الملك، وجدّد دولة الأندلس وأخضع حكامها لسلطانه، استلم الحكم وعمره إثنين وعشرون عاماً وحكم خمسون عاماً وكل ما نسمعه عن أمجاد الأندلس إنما ظهر أمره في عهد الناصر اهتم بالحركة العمرانية في البلاد وبنى مدينة الزهراء التي مازالت بقاياها موجودة إلى الآن، بعد أن كانت آية من آيات الفن والجمال. ضاعف مساحة مسجد قرطبة وتطورت الزراعة في عهده وأنشأ داراً لسك النقود وارتفع شأن القضاة والفقهاء في عهده وانتشرت حركة الترجمة للغة العربية وتقدمت التنظيمات العسكرية وبناء السفن ووفد إليه سفراء ملوك أوروبا وانتشرت اللغة العربية في أوروبا كما انتشر الترف والغناء وظهرت الموشحات الأندلسية بعد فترة من حكم الناصر أعلن الخلافة وأضحى لا مفر من الصدام المسلح مع الخلافة الفاطمية في الشرق فاستعد الناصر بحرباً وبدأ هو بالهجوم على شمال المغرب وسيطر على سبتة فأوقف التهديد الفاطمي كما استطاع أن يستعيد بعض ماسيطر عليه عمر بن حفصون وبدأ يرتب أموره للسيطرة على باقي أراضي الأندلس وخصوصاً الشمال الذي احتله النصارى في هذه الأثناء مات بن حفصون فاستغل الناصر الموقف واستمال إليه سليمان بن عمر بن حفصون واستولى على باقي ما سيطر عليه بن حفصون فقويت شوكة الناصر وبدأ بعدة غزوات

لإستعادة شمال الأندلس ومن غزوات الناصر - غزوة موبش ٣٠٨ هجرية تحرك الناصر بجيشه نحو مدينة سالر واحتلها وسيطر على ما حولها من الأراضي التي كان النصارى يفرون منها وتقدم أكثر حتى وصل لحصن موبش وسيطر عليه. ٢- غزوة بنبلونة قادها الناصر بنفسه فتحرك نحو مملكتي ليون و نبرة فسيطر عليهما ووقع في يده عدد كبير من الأسرى ثم اقتحم بنبلونة وأضطر ملكها إلى مهادنته ٣ - معركة الخندق عاد النصارى بقيادة روميرو في العدوان على الممالك الإسلامية فاستولوا على حصن مجريط وهو مدينة مدريد الحالية فأصبح يهدد طليطلة فتحرك الناصر إليه بجيش قوامه مائة ألف مقاتل واستطاعوا فتح حصون سمورة وبدأ جيش النصارى يتراجع ولكن جيش المسلمين أعجبته كثرتهم واهتموا بالغنائم وتهاونوا في القتال فاستغل النصارى هذا التهاون فهاجموا على جيش المسلمين وأحدثوا فيهم مقتلة وتساقطت جثث المسلمين في الخندق الذي حفرة النصارى حول مدينة شنت منكش وفر الناصر ومعه خمسون رجلاً إلى قرطبة وتبعه روميرو ولولا أن رجلاً من المسلمين ممن تحالفوا مع النصارى ضد الناصر قد أخذته نخوة الإسلام وأقنع روميرو أن الناصر أعد له كميناً فدب الخوف في قلوب النصارى فتراجع روميرو. وما إن استقرت الحياة السياسية في الأندلس، وعمّ الرخاء والأمن في عهد عبدالرحمن الناصر وابنه الحكم المستنصر اللذين دفعا البلاد دفعاً إلى النهضة فكان من أهم أسباب تلك النهضة في عهديهما:-

إغراء العلماء بالقدوم إلى الأندلس، والتشجيع على التأليف من أجل خزائن الكتب الأندلسية ونقل الكتب المشرقية واستنساخها وحفز الأندلسيين على جمع تراثهم والعناية بالتأليف عن بلدهم وتبني العلوم والمعارف بألوانها.

فمن إغرائه للعلماء والأدباء أن قدم عليه كثير من المشاركة، تميّز من بينهم أبو علي القالي (ت ٣٥٦هـ) فكان لقدمه أثر يّين في قوة التيار الأدبي القديم الذي يقوم على طريقة العرب في الشعر، فضلاً على تأسيسه لمدرسة لغوية جمعت إليها تلامذة ظلوا أوفياء لمنهج وعلمه.

فقد حمل القالي إلى الأندلس مجموعة ضخمة من الدواوين الشعرية كان أكثرها دواوين لشعراء قدماء وقليل منها لشعراء محدثين فكان بذلك أحد أعمدة الاتجاه المحافظ في الشعر الأندلسي.

إلى جانب ذلك نجد عطايا عبدالرحمن الناصر وابنه الحكم تصل إلى العلماء المشاركة في مواطنهم للظفر بمؤلفاتهم، ومن ذلك صلة الحكم المستنصر للكندي الفيلسوف ولأبي الفرج الأصفهاني الذي تلقى منه ألف دينار ذهباً نظير إرسال نسخة من كتاب الأغاني إلى الأندلس، وقد وصلت نسخة من الكتاب إلى الأندلس قبل أن تظهر في العراق.

بل لقد حملت الكتب بمختلف فنونها إلى مكتبة الحكم المستنصر بفعل وراقين انتشروا في البلاد الإسلامية بحثاً وتنقيحاً عنها أو قد صنفت هذه المؤلفات في فهرس بلغ عددها أربعة وأربعون فهرساً وفي كل فهرس خمسون ورقة وهذا دليل على كثرة ما كان يستنسخه الحكم المستنصر في سبيل بناء مكتبته الضخمة، حتى قيل بأن مكتبته كانت تحوي أربعاً مائة ألف مجلد.

وفي مجال العناية بالتراث الأندلسي فقد كان ذلك بعناية خاصة من قبل الحكم المستنصر - كذلك - فقد حفز الأندلسيين إلى التأليف والجمع فقد أمر الحكم إسحاق

محمد ابنه أول من تسمى^(٧٣) منهم بأمير المؤمنين، وكانت له كنية لأن في بادئ أمرهم لم يتسموا بالكنى^(٧٤) ولا بإمرة^(٧٥) المؤمنين إجلالاً لخلافة بني العباس وتقية، إنما استولوا على جزيرة الأندلس، وأسقطوا الدعوة منهم، ولم يتعدوا إلى منازعات الكنا (لختا)، ذهبت شوكة بني العباس وغلبهم عبيدهم وضعف أمرهم، فتكنوا كما تراه مبسوطاً في التاريخ، ثم بعده ابنه

بن مسلمة بجمع كتاب في أخبار الأندلس، وألف خالد بن سعد كتاباً في رجال الأندلس، وطلب إلى محمد بن الحارث الحشني أن يؤلف كتاباً في القضاة. وفي ميدان الأدب جمع له عبدالله بن مغيث المعروف بابن الصفار كتاباً في أشعار الخلفاء من بني أمية، وألف له أحمد بن فرج الجياني كتاب «الحداثق» معارضاً كتاب «الزهرة» لأبي بكر الأصبهاني، لم يورد فيه شعراً لغير أندلسي كما وضع يوسف بن هارون الرمادي كتاباً سماه «الطير» كله من شعره وصف فيه كل طائر معروف، يذكر خواصه وذيل كل قطعة بمدح ولي العهد هشام بن الحكم. ولعلنا أن نقول إن هذه النهضة الثقافية قد أفاد منها الأدب في عمق معانيه وتعدد تجاربه وتلون صوره ووفرة إنتاجه

(٧٣) في الأصل: تسما.

(٧٤) في الأصل: بالكنا.

(٧٥) في الأصل: بامرت.

الحكم^(٧٦)، وكان الحكم المستنصر قد سمع الحديث وجمع من الكتب ما لم

(٧٦) الحكم المستنصر: حكم في الفترة ٣٥٠ - ٣٦٦ هجرية: الحكم المستنصر هو الحكم بن عبد الرحمن الناصر هو أحد خلفاء الدولة الأموية بالأندلس، تولى الحكم في ٣ رمضان سنة ٣٥٠ هـ خلفاً لأبيه عبد الرحمن الناصر ولقب بالحكم المستنصر يمتاز عصره بازدهار العلوم والآداب في قرطبة بصورة كبيرة، فقد كان أكثر خلفاء بني أمية حباً للكتب، وكان يبعث رجالاً بأموال طائلة لاستجلاب نفائس الكتب إلى الأندلس، وأنشأ مكتبة قرطبة التي وصلت محتوياتها إلى أربعمائة ألف مجلد وكان شغوفاً بالعلم وأهله وأنشأ مكتبة قرطبة الكبيرة وأقام معامل صناعة الورق وشجع حركة الترجمة وأشهر العلماء الذين ظهروا في عهده المؤرخ ابن القوطية والحشني والزبيدي كما أجرى توسعة لمسجد قرطبة. حارب ملوك قشتالة وليون ونافار وقهرهم وصدهجياتهم. في عهده أغار النورمان على السواحل الأندلسية للمرة الثانية فصددهم. ازدحم العلماء على باباه وغصت بهم مجالسه وترجمت إلى العربية كتب كانت تهدي إليه من أباطرة الروم وقد أنشأ مكتبة حوت أربعمائة ألف مجلداً ولم يكن من أهل الأندلس في عهده من لا يعرف القراءة والكتابة. وقد شهد التعليم في عهد الحكم نهضة عظيمة، فانتشرت بين أفراد الشعب معرفة القراءة والكتابة، بينما كان لا يعرفها أرفع الناس في أوروبا باستثناء رجال الدين، وقد بنى الحكم مدرسة لتعليم الفقهاء مجاناً، كما أسس جامعة قرطبة أشهر جامعات العالم آنئذ، وكان مركزها المسجد الجامع، وتدرس في حلقاتها كل العلوم ويختار لها أعظم الأساتذة وقد احتلت حلقات الدرس أكثر من نصف المسجد، وتم تحديد مراتب للشيوخ ليتفرغوا للدرس والتأليف، كما خصصت أموال للطلاب ومكافآت ومعونات للمحتاجين، ووصل الأمر بنفر من الأساتذة إلى ما يشبه منصب الأستاذية اليوم في

يكن قد جمعها ملكا قبله أو بعده حتي قيل أنها بلغت في خزائنه أربع مائة ألف، وسيبين في التاريخ كيف كان تفريقها بعد المستنصر^(٧٧). ثم هشام بن

مجلالات علوم القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف والنحو، وعهد الحكم المستنصر إلى أخيه المنذر بالإشراف على جامعة قرطبة، كما عهد بمهمة الإشراف على المكتبة الأموية إلى أخيه عبد العزيز يقول فندث بيدال - العالم الأسباني الكبير - يقول: «وصلت الخلافة الأندلسية في ذلك العصر إلى أوج روعتها وبسطت سيادتها السلمية على سائر إسبانيا وكفلت بذلك السكينة العامة». وتوفي الحكم في (٢ صفر ٣٦٦هـ = ٣٠ سبتمبر ٩٧٦م)

^(٧٧) كان شغف الحكم المستنصر بالكتب والمكتبات ومقدار اهتمامه بالعلم والعلماء كبيرا، فجعل الحكم كل هدفه السير بالأندلس قدما في طريق العلم والمعرفة فوجه الحكم جل اهتمامه إلى بناء وتنمية مكتبته الخاصة فنشر رجاله في كل مراكز الثقافة الإسلامية يبحثون عن النادر من الكتب والمخطوطات ويدفعون أغلى الأثمان بغية الحصول عليها، بل وكانوا يصادقون تجار الكتب في كل مكان ليدلوهم على ما صدر منها وما هو بسيله إلى الصدور وكان يحدث كثيرا أن يشتروا الكتب من مؤلفيها أو ناشريها لتصدر في الأندلس قبل أن ترى النور في بغداد أو الموصل أو البصرة أو مصر حيث كان الحكم يجد متعة في أن يكون أول قارئ لما يصدر من الأبحاث الجديدة. وللأسف كان مصير هذه المكتبة نفس مصير المكتبات الشرقية من الحرق والسلب والنهب والتخريب، ذلك أنه بعد وفاة الحكم ولي الأندلس المنصور ابن أبي عامر وقد أراد أن يرضي العامة والفقهاء في زمانه فأخرج من المكتبة جميع الكتب الفلسفية وأضرم فيها النار في الميدان العام في قرطبة. ولم يقف أمر هذه المكتبة عند هذا الحد

الحكم المستنصر^(٧٨)، وفي أيامه تسلط للحجابه^(٧٩) المنصور بن أبي عامر^(٨٠)

فقد ضعفت الأندلس بعد وفاة المنصور وبدأت في التفسخ وقد تعرضت قرطبة لحصار البربر واحتاج الحاجب واضح مولى المنصور ابن أبي عامر إلى المال فأخرج أكثر الكتب من المكتبة وباعها، وما تبقى منها نهب وحرق عندما اجتاحت البربر قرطبة..

^(٧٨) هشام المؤيد: حكم في الفترة ٣٦٦ - ٣٩٩ هجرية بعد وفاة المستنصر تولى ولده هشام الحكم وهو مازال صبياً فانقسم رجال الدولة إلى قسمين الأول بقيادة الحاجب جعفر المصحفي و محمد بن أبي عامر وهؤلاء يؤيدون ولاية هشام، أما القسم الآخر بقيادة المغيرة عم هشام فكان يرفض ولايته ويقول مؤرخون إن الخليفة الحكم بن المستنصر كان مع فضله قد استهواه حب الولد حتى خالف الحزم في توريثه الملك بعده في سن الصبا فلما مات الحكم أخفى جؤذر وفائق فتياه ذلك وعزما على صرف البيعة إلى أخيه المغيرة. وقال فائق إن الأمر لا يتم إلا بقتل المصحفي فرفض جؤذر، وقال ونستفتح أمرنا بسفك دم شيخ مولانا، فقال له هو والله ما أقول لك ثم بعثا إلى المصحفي ونعيا إليه الحكم وعرفاه رأيهما في المغيرة فقال لهما المصحفي وهل أنا إلا تبع لكما وأنتما صاحبا القصر ومدبرا الأمر فشرعا في تدبير ما عزما عليه وخرج المصحفي وجمع أجناده وقواده ونعى إليهم الحكم وعرفهم مقصود جؤذر وفائق في المغيرة وقال لهم إن نصرنا ابن مولانا كانت الدولة لنا وإن بدلنا استبدلنا فقالوا الرأي رأيك فبادر المصحفي بإرسال محمد بن أبي عامر مع طائفة من الجند إلى دار المغيرة لقتله فوافاه ولا خبر عنده فنعى إليه الحكم أخاه فجزع واسترجع، وابلغه أبي عامر كذلك بتنصيب ابنه هشام في الخلافة، فقال المغيرة أنا

سامع مطيع فكتب ابن أبي عامر إلى المصحفي بحاله وما هو عليه من الاستجابة، مقترحاً الإبقاء على الرجل لكن المصحفي أصر على التخلص منه وأمر ابن أبي عامر بذلك وإلا وجه غيره ليقطله فقتل ابن أبي عامر المغيرة خنقاً فلما قتل استوثق الأمر لهشام بن الحكم وسمى بالمؤيد بالله. ولأن هشام كان مازال صبيّاً فقد قرر من حوله وعلى رأسهم أمه صبح إقامة مجلس للوصاية بقيادة وزير الدولة جعفر المصحفي وصاحب مدينة فارس شيخ الموالي وفارس الأندلس آنذاك غالب الناصري ومحمد بن أبي عامر. لما تولى هشام الحكم طمع نصاري الشمال في ضعفه وخرجوا على أهل الثغور فوصلوا إلى باب قرطبة، ولم يجد الناس عند المصحفي حلاً لما ألب بالناس، وكان جل ما فعله أن أمر أهل قلعة رباح بقطع سد نهرهم لما تخيله من أن في ذلك النجاة من العدو ولم تقع حيلته، التي رأى فيها العامة عجزاً مع وفور الجيوش وجموع الأموال، أما ابن أبي عامر فأنف من هذه الدنية وأشار على جعفر بأن الجيوش إنها وجدت للجهاد وخوفه سوء العاقبة في تركه وأجمع الوزراء على رأي ابن أبي عامر إلا من شذ منهم. اختار ابن أبي عامر الرجال وتجهز للغزو واستصحب مائة ألف دينار وسار بالجيش حتى هزم النصاري في حصن الحافة ودخل الربض وغنم الغنائم بعد أن ردهم بعد اثنين وخمسين يوماً فعظم السرور به وخلصت قلوب الأجناد له واستهلكوا في طاعته لما رأوه من كرمه. وفي نهاية العام انطلق ابن أبي عامر بجيشه للانضمام مع جيش غالب الناصري في الشمال وسار نحو مجريط ففتحو الحصون وحققوا انتصارات عدة على النصاري فعلا نجم العامري أكثر كما أنه استطاع أن يستصدر أمراً من الخليفة بتعيينه رئيساً للجيش والشرطة معاً ماعدا جيش الشمال ثم تزوج ابنة غالب قائد جيش الشمال وأصبح تحالفهما قوى ضد وزير

الدولة المصحفي. بعد إخضاعه لحصون شلمنقة وإرهاق النصاري في الشمال عاد لقرطبة واستصدر أمراً من الخليفة بتعيينه حاكم عام على قرطبة وجعل غالب وزيراً مشاركاً للمصحفي ثم عزل المصحفي وسجن بدعوى الفساد في المال العام وانفرد ابن أبي عامر غالب بمجلس الوصاية ثم عين العامري وزيراً للدولة وتنازل عن قيادة الجيش وعين عليه جعفر بن حمدون الأندلسي..

(٧٩) الحجابة: هذا اللقب كان خاصاً للدولة الأموية والعباسية بمن يحجب السلطان عن العامة ويغلق بابه دونهم أو يفتحه لهم على قدره في مواقيته. وكانت هذه منزلة يومئذ عن الخطط مرؤوسة لها إذ الوزير متصرف فيها بما يراه. وهكذا كانت سائر أيام بني العباس. أما في الدولة الأموية بالأندلس فكانت الحجابة لمن يحجب السلطان في الخاصة والعامة ويكون واسطة بينه وبين الوزراء فمن دونهم. فكانت في دولتهم رفعة غاية كما تراه في أخبارهم. ثم لما جاء الاستبداد على الدولة اختص المستبد باسم الحجابة لشرفها. فكان المنصور بن أبي عامر وأبناؤه كذلك. ولما بدؤوا في مظاهر الملك وأطواره جاء من بعدهم من ملوك الطوائف فلم يتركوا لقبها وكانوا يعدونها شرفاً لهم وكان أعظمهم ملكاً بعد انتحال ألقاب الملك وأسماؤه لا بد له من ذكر الحجاب وفي الوزارتين يعنون به السيف والقلم ويدلون بالحجابة على حجابة السلطان عن العامة والخاصة وبذي الوزارتين على جمعه لخطتي السيف والقلم. ثم لم يكن في دول المغرب وإفريقية ذكر لهذا الاسم للبداءة التي كانت فيهم.

(٨٠) المنصور بن أبي عامر: حكم في الفترة ٣٧٠-٣٩٢ هجرية هو محمد بن عبد الله بن عامر بن محمد أبي عامر بن الوليد بن يزيد بن عبد الملك المعافري القحطاني. أبو عامر، المعروف بالمنصور بن أبي عامر. هو من أسرة يمنية الأصل تنتسب إلى قبيلة

معافر اليمنية. دخل جده عبد الملك إلى الأندلس مع طارق بن زياد وأظهر شجاعة في بعض العمليات العسكرية فمنح إقطاعات في الجزيرة الخضراء. قدم ابن أبي عامر إلى قرطبة شاباً وأتم دراسته في جامع قرطبة ودرس الأدب على يد أبي علي القالي، وقرأ الفقه على يد أبي بكر بن القوطية والحديث على يد أبي بكر بن معاوية القرشي وغيره، وفتح دكاناً عند باب قصر الخليفة ليكتب للناس الطلبات والعرائض والالتماسات، وسرعان ما استهوئ الناس بذكائه ومهارته، وبلغ خبرة الأميرة (صبح) زوجة الحكم المستنصر وأم ابنه (هشام) فعهدت إليه بالنظر في أمورها ووكلت بإدارة ضياعها الخاصة، فأظهر كفاءة أعجبت بها وتوسطت عند زوجها الخليفة فولاه أمانه دار السكة (ضرب النقد) وبعد ذلك ولاه قضاء مدينة (ربة) ثم رقاء وولاه الشرطة والإشراف على أموال الزكاة والموارث، ثم جعله وكيلاً لولده هشام ولي عهده، ثم رفعه إلى الوزارة. لما مات الحكم المستنصر كان ابنه هشام صغيراً وخيف الاضطراب، فضمن ابن أبي عامر لأم هشام سكون البلاد واستقرار الملك لابنها. كان يطمع بالاستيلاء على الملك ووضع خطة بارعة نفذها بذكاء وإحكام واتبع في تنفيذها المراحل الآتية: ١ - تقرب من جعفر بن عثمان المصحفي، حاجب القصر، وصاحب السلطة في الدولة وأقنعه بطرد حراس القصر، وكانوا من الصقالبة الخصيان، المعروفين بشدة البأس والقوة، فكبه المصحفي وطردهم من القصر وأبدلهم بحراس اختارهم ابن أبي عامر من البربر. ٢ - تقرب بعد ذلك من القائد غالب الناصري وكان من موالي الخليفة عبد الرحمن الناصر وهو من أعظم قادة الدولة وأمير مدينة (سالر) والشجر الأعلى وتآمر ابن أبي عامر معه ومع الحاجب المصحفي على قتل المغيرة أخي الحكم المستنصر وعم هشام بن عبد الملك وكان

=

المغيرة يطمع بالخلافة، فقتلوه وبايعوا هشاماً ولقبوه (المؤيد) ولم يكن قد تجاوز العاشرة من عمره. ٣ - استطاع بدهائه أن يزيع الحاجب المصحفي، فتزوج من أسماء بنت القائد غالب وبمساعده استطاع أن يحتل مكان المصحفي ثم يقبض عليه ويسجنه، ثم يقتله. ٤ - وأخيراً انقلب على القائد غالب وتوجه لحربه سنة ٣٧١ هـ وقتله في المعركة. ٥ - حجب (هشام المؤيد) في القصر وأحاطه بخدم اختارهم لخدمته ومنعه من الناس وألهاه بكل ما يلهو به صبي في مثل عمره. ثم له بعد ذلك ما كان يطمع إليه، واستأثر بالملك. ظلت الدعوى في أيامه لهشام المؤيد على المنابر، أما الملك فله وحده. ولم يضطرب عليه شيء مدة حكمه، لحسن سياسته وعظيم هيئته. تآمر ابنه عبد الله على قتله مع آخرين، لأن أباه أثار أخاه عبد الملك عليه، وهو يظلمه حين يساويه به، لأنه أكثر منه فهماً وأعظم شجاعة، وأن أباه يفكر أن يعهد إليه بالأمر من بعده، وربما كان في شعور عبد الله أنه مظلوم شيء من الحقيقة، لأن أباه كان يشك في بنوته ويعتقد أنه ربما كان ولداً غير شرعي، بمعنى أن أمه لم تكن قد استبرأت تماماً حين تزوجها، فلم يكن يحبه كإخوته، فلما اكتشف المنصور المؤامرة قبض على ابنه وأمر بضرب عنقه وقتل المتآمرين معه. غزا المنصور بنفسه خمسين غزوة، لم يهزم في واحدة منها طوال حكمه الذي استمر خمساً وعشرين سنة، وجاست خيله في أمكنه لم يكن قد خفق فيها علم إسلامي من قبل، وسقطت في يد المسلمين (شنت ياقب) في ولاية (جليقة) وهي أقدس مكان لمسيحي أسبانيا، ودانت له ملوك أسبانيا شمالاً وجنوباً، وانتصر على ملوك (قشتالة) و (نفارا) و (قطالونيا)، وأنزل ببلادهم خسائر فادحة. تزوج ابنة (سانشو) ملك (نفارا) التي اعتنقت الإسلام وتسمت باسم (عبدة) وأنجبت للمنصور ابنه عبد الرحمن الذي

=

أطلقت عليه اسم (سانشو) ذكرى لأبيها وكان يشبهه، وقد حرفت العامة هذا الاسم إلى (شنجول). مات المنصور في إحدى غزواته بمدينة سالر ولا يزال قبره معروفاً فيها، وخلفه ابنه عبد الملك الملقب بالمظفر. توفي عن ٦٦ عاماً وأمر بجمع ما علق عليه من الغبار في غزواته ومواطن جهاده وجعل منها صرة وضعت مع حنوطه عند دفنه. بني مدينة الزاهرة بشرقي قرطبة على النهر الأعظم، محاكياً بها الزهراء التي بناها الخليفة عبد الرحمن الناصر وبني قنطرة على الجسر محاكياً الجسر الأكبر في قرطبة وزاد في جامع قرطبة مثليه.

واصل المنصور تقربه للفقهاء والعلماء ونزولاً عند رغبتهم أمر بحرق كل الكتب البيزنطية لما فيها من إنحراف ديني وخلقي فحفظ عقائد الناس ثم بدأ يقلل من شأن الأمويين فاستعان في شئون البلاد بالبربر كما أنه أنشأ مدينة الزاهرة بالقرب من مدينة الزهراء فدخلت مرحلة النسيان بعد أن كانت حاضرة الأندلس. نقل للزاهرة الأموال والأسلحة ودواوين الحكم وأصبحت مركز الحكم وفي نهاية هذا العام أمر بحبس الخليفة المؤيد بالله هشام في قصره وأن لا يدخل عليه أحد إلا بإذن ابن أبي عامر نفسه بحجة حمايته. وتحول المؤيد بالله إلى مجرد رمز فقد سكبت النقود بإسم ابن أبي عامر والخليفة معا ودعي للثنين على المنابر وكانت الدعوة على المنابر ضرباً من الاعتراف الشعبي ومما أعلی من خبر المنصور ونشر الاعتراف بسلطته بين الناس قضائه على حركة الحسن بن قنون في المغرب ومواجهة جيش الفاطميين وبذلك سيطر على المغرب وعين الحسن السلمی والياً عليها أما في مجلس الوصاية حيث تقاسم المنصور وغالب الناصري النفوذ فقد خاف غالب الناصري من إزدياد نفوذ المنصور فدبر له مؤامرة لقتله ولكن المنصور نجا منها واستدار على غالب فقتله

=

وأصبح متفرداً بحكم مجلس الوصاية ويقول مؤرخون إن غالب الناصري حضر مع ابن أبي عامر في بعض الغزوات وصعدا إلى بعض القلاع لينظرا في أمرها فجرت محاورة بين ابن أبي عامر وغالب فسهب غالب، وقال له يا كلب أنت الذي أفسدت الدولة وخربت القلاع وتحكمت في الدولة وسل سيفه فضربه لكن بعض من حضروا مواجهة الحليفين السابقين حبس يد الناصري فلم تتم الضربة وشجه فألقى ابن أبي عامر نفسه من رأس القلعة خوفاً من أن يجهز عليه فقضى الله تعالى أنه وجد شيئاً في الهواء منعه من الهلاك فاحتمله أصحابه وعالجوه حتى برئ أما غالب فلما نجا المنصور من محاولته أدرك أنه هالك فلحق بالنصارى واستعان بهم على غزو الأندلس وقابله ابن أبي عامر بمن معه من جيوش الأندلس فحكمت الأقدار بهلاك غالب وتم لابن أبي عامر ما جده وتخلصت دولته من الشوائب توجه المنصور بعد أن استتب له الأمر في الداخل نحو ليون وحاصرها بجيوشه واستطاع لأول مرة منذ فتح موسى بن نصير وطارق بن زياد أن يعيد ليون لحكم المسلمين وأسر ثلاثين ألف من القوط ثم حاصر برشلونة وفتحها وهزم الفرنسيين وأرعب النصارى في الشمال وأصبحوا يدفعون الجزية له ثم عزم المنصور على إعادة جليقية وهي آخر معاقل النصارى في الشمال لحكم المسلمين وكان النصارى في ذلك الوقت يعدون كنيسة سانت ياقب (سان دياجو) بمنزلة الكعبة عند المسلمين فجهز جيشاً برياً وآخر بحرياً واستطاع بحنكته وبراعته الحربية الوصول إلى سانت ياقب في شهرين فقط ولم يكن النصارى يتوقعون ذلك فهربوا منها فدخلها المنصور وهي فارغة من أهلها وغنم منها مغانم هائلة.

=

الحاجب المشهور وكان قبله متولي حجابة الحكم المستنصر، جعفر المصحفي المشهور بالادماث^(٨١) والبراعة كما ستره في التاريخ، وهذا المنصور بن أبي عامر ورث الحجابة بعد حيل وعجائب ستقف عليها،

وصل المنصور في غزه إلى درجة أنه في إحدى الغزوات حمل النصاري أمواهم له إلى قرطبة وكانوا يزيحون له قتلاهم من الطريق ليمر هو وجيشه.

ظل المنصور على جهاده حتى بلغ الستين من عمره وفي آخر غزواته أصابه المرض وقويت عليه العلة فاتخذ له سرير خشب ووطئ عليه ما يقعد عليه وجعلت عليه ستارة وكان يحمل على أعناق الرجال والعساكر تحف به، وهجر الأطباء في تلك العلة لاختلافهم فيها وأيقن بالموت واشتغل ذهنه بأمر قرطبة وهو في مدينة سالر فلما أيقن بالوفاة أوصى ابنه عبد الملك وجماعته وخلا بولده وكان يكرر وصايته وكلمه أراد ولده أن ينصرف رده وعبد الملك يبكي وهو ينكر عليه بكاءه ويقول وهذا من أول العجز وأمره أن يستخلف أخاه عبد الرحمن على العسكر وخرج عبد الملك إلى قرطبة ومعه القاضي أبو ذكوان فدخلها أول شوال ليعلم وفاة الحاجب المنصور. صنع المنصور ابن أبي عامر مجدلاً لم يصنعه أحد في الأندلس وخاض خمسين معركة لم يهزم فيها مرة. كان يجمع غبار ملابسه بعد المعارك وقد أمر بدفنها معه لتشهد على جهاده في سبيل الله يوم القيامة ولما توفي نقش على قبره

آثاره تنبيك عن أخباره

حتى كأنك بالعيون تراه

تالله لا يأتي الزمان بمثله أبداً ولا يحمي الثغور سواه.

^(٨١) في الأصل «بلادماث» والدماثة «حسن الخلق».

وكان مبدأ أمره صعلوكا وكان أصل جده^(٨٢) من أمراء بني أمية^(٨٣)، كان مع موسى بن نصير، ثم أنه كان له خطأ، وكان مكتريا^(٨٤) حانوتا^(٨٥) يكتب للناس التوقيعات في دار الخلافة وسنين ذلك المأرخ، وبلغ مبلغا عظيما من الحزم والجزم والتدبير والغزو^(٨٦) كما ستره تفصيلا ثم بعد هشام المهدي محمد بن هشام بن عبد الجبار^(٨٧) ابن الناصر وهو أول خلفاء الفتنة كما

^(٨٢) في الأصل: حده.

^(٨٣) كان جده هو: أبو عامر محمد بن أبي حفص عبد الله بن محمد بن عبد الله بن عامر (ابن عذاري، البيان المغرب، ج ٢، ص ٢٥٦).

^(٨٤) في الأصل مكتزي، واكثرى: قام بتأجير.

^(٨٥) الحانوت: الدكان.

^(٨٦) وقام المؤلف بالتعليق على الخبر في الهامش قائلا: قيل غزا اثنين وخمسين غزوة على بلاد المشركين.

^(٨٧) بينما كان شنجول يتوجه بحملة إلى شمال غرب أسبانيا ضد سكان غاليسيا حتى أطاحت مؤامرة بالخليفة هشام المؤيد في قرطبة وبايعت بالخلافة مكانه محمد بن هشام بن عبد الجبار بن الناصر، من الأسرة الأموية، والذي إختار لنفسه لقب المهدي. وطار الخبر إلى عبد الرحمن شنجول بمكانه من الثغر فانفض جمعه، وقفل إلى الحضرة مدلاً بمكانه زعيماً بنفسه، حتى إذا قرب موعد الحضرة تسلل عنه الناس من الجند ووجوه البربر، ولحقوا بقرطبة، وبايعوا المهدي القائم بالأمر، وأغروه بعبد الرحمن الحاجب، لكونه ماجناً مستهتراً غير صالح للأمر، فاعترضه منهم من قبض عليه واحتز رأسه، وحمله إلى المهدي وأبى الجماعة، وذهبت دولة العامرين كأن لم

ستراه ثم بعده المستعين سليمان^(٨٨) ثم ابنه الحكم بن سليمان الناصر، وإلى

تكن، والله عاقبة الأمور غير أنه «لريكن للمهدي المواهب أو الفضائل التي تزكيه، بل كان رجلاً فاسقاً فظاً ميالاً لسفك الدماء، قليل الحصافة، إذ ناصب جميع الأحزاب العداء فقال فيه بعضهم:

قد قام مهدينا ولكن..... يملة الفسق والمجون

واعتمد المهدي على قوته الجديدة التي تتألف من أرزال العامة وأسافلهم وعارض بهم أجناد الدولة واستوزر رجالاً من الطبقة الدنيا فاستبد هؤلاء العوام وركبهم الغرور، فأساءوا إلى قواد الجند ووجوه الناس ولرئيموا بين أعلاهم وأدناهم وعند محمد بن هشام المهدي بعد ذلك إلى مطاردة الخليفة هشام المؤيد فحبسه في القصر أولاً، ثم أخرجه بعد ذلك من القصر، وأخفاه في بعض منازل قرطبة، وتوفي في ذلك الوقت رجل نصراني أو يهودي، قيل أنه كان يشبه هشاماً شبيهاً قوياً، فأعلن محمد بن هشام وفاة الخليفة، وأحضر الوزراء والفقهاء، فشهدوا بأنه هو الخليفة هشام المؤيد حقاً ودفن وأعلن محمد بن هشام بغضه للبربر، وعلى هذا النحو تألف من هؤلاء جميعاً حزب معاد لمحمد بن هشام وأقسم البربر أن يكون إنقتامهم عجيباً، ولريكن لديهم من المهارة ما يؤهلهم لوضع خطة إنتقامية غير أن الحظ واتاهم فكان فيهم زاوي، وهو من أسرة صنهاجية حكمت في إفريقية..... وكان زاوي أكثر زملاءه البربر المحاربين ذكاءً، فرأى قبل كل شيء ضرورة البحث عن منافس للمهدي

^(٨٨) كان زاوي أكثر زملاءه البربر المحاربين ذكاءً، فرأى قبل كل شيء ضرورة البحث عن منافس للمهدي. واستقر رأيهم على سليمان بن الحكم بن سليمان حفيد الناصر، وكان سليمان هذا يبلغ من العمر خمسين عاماً فجعلوا منه إمام مجموعة البربر

فاجتمعوا إليه وولوه عليهم، وعقدوا له الخلافة في شعبان سنة ٣٩٩ هـ وتسمى بالمستعين بالله.

واستعان البربر بشانجة بن غرسية بن فردلند قومس قشتاله والذي قرر الوقوف إلى جانب البربر على أساس أن النجاح إذا ما حالف محاولتهم فإن عليهم أن يسلموه بعض الحصون الإسلامية الواقعة على حدود نهر الدويزة لتكون ملكاً خاصاً لهم وانضم إليهم الكونت برجاله، وشرعوا في الزحف على قرطبة. ولما علم المهدي بالله بزحف البربر على العاصمة تحصن في سهل يقع شرقي قرطبة، والتقى الجمعان، في حتيش ٤٠٠ هـ / ١٠٠٩ م» وانتهت الموقعة بهزيمة جيش المهدي هزيمة نكراء ووضع البربر السيف على أهل قرطبة. وذكر ابن حيان أن من كل طبقة قد أخذت وقعة قتيش، حتى من أهل الباطل وحاول المهدي أن يستميل البربر فأظهر لهم هشاماً المؤيد وأجلسه حيث يراه الناس في منظره تشرف على باب القنطرة ولكن ذلك لم يغنه شيئاً إذ تمسك البربر بسليمان المستعين.

«ونودي به خليفة في المسجد الجامع وتم منحه لقب المستعين بالله وكان سليمان يعتمد على قوة البربر، فانتقل بجملته جيشه البربري إلى مدينة الزهراء ثم رحل لطليطلة ٤٠٠ هـ / ١٠١٠ م، ولكنه لم ينجح في مهمته لتمسك أهل الثغر بطاعة المهدي وواضح الفتى الذي إتفق مع قومس برشلونه ريموند بوريل الثاني وأخيه أرمقند على أن يساعده حريباً تظير تخليه لهم عن مدينة سالر قاعدة الثغر الأسط وفي إطار هذه الشروط دخل فرسان كلا الحاكمين في صفوف الفتى واضح والمهدي وتوجه الجميع إلى قرطبة وقد بلغ تعداد القوات أربعين ألف رجل ولريكن لدى

سليمان المستعين من قوات إلا مجموعات من البربر، ذلك أن القرطبيين رفضوا الإنضمام إليهم فما كان منه إلا العمل على مواجهة

تهديدات المهدي فخرج إليه سليمان فهزمه المهدي بموضوع يعرف

بعقبة البقر أما سليمان فقد نجا بنفسه وفر إلى شاطبة وبدأت الفترة الثانية لولاية المهدي ولكنها كانت أقصر من الأولى. حيث إعتزم المهدي أن يقضي على البربر قبل أن يعودوا لمقارعتة. فجمع الأموال من أهل قرطبة وأعطى الفرنج أعطائاتهم، وحشد كل ما استطاع من قواته، وخرج لمطاردة البربر، وكان البربر قد وصلوا عندئذ إلى وادئ آره على مقربة من مربلة في طريقهم إلى الجزيرة الخضراء، وكان جيش المهدي يتكون من نحو ثلاثين ألف من المسلمين وتسعة آلاف من الفرنج، وهناك التقى الجمعان، ودارت الهزيمة على المهدي وحلفائه وقتل من الفرنج نحو ثلاثة آلاف واستولى البربر على كثير من أسلحتهم وخيلهم ومتاعهم. وعلى أثرها إرتد المهدي إلى قرطبة وسار البربر جنوباً إلى ناحية ريه وهناك لحق بهم سليمان المستعين بمن معه وأخذ الفريقان يدبران معاً إستئناف الصراع للإستيلاء على قرطبة وفي أثناء ذلك كان واضح قد ضاق ذرعاً بتصرفات المهدي وحقاقته، وسوء خلقه من عكوف عليالشراب والمجون، وكان الفتيان العامريون وفي مقدمتهم واضح جميعاً ينقمون على المهدي ما فعله بهشام المؤيد وبنى عامر وكان قد وصل إلى قرطبة جملة منهم من شاطبة وفيهم بعض الفتيان البارزين مثل خيران وعنبر فاتتمروا على الغدر بالمهدي، وأخرجوا هشاماً من محبسه بالقصر، وأجلسوه للخلافة ونادوا بولايته وأتوا بالمهدي بين يديه ف ضرب عنقه واحتز رأسه وهكذا استرد هشام المؤيد الخلافة بعد سلسلة من الخطوب والأحداث المثيرة وكان يومئذ كهلاً في نحو السابعة

والأربعين من عمره. وبعث واضح برأس المهدي إلى سليمان المستعين إرضاء له وحلفاءه البربر وكتب إليهم يدعوهم إلى الدخول في طاعة الخليفة هشام المؤيد بإعتباره الخليفة الشرعي. ولكن ذلك لم يجده نفعاً، إذ تألم سليمان وأصحابه البربر للمصير التعس الذي لقيه ابن عبد الجبار من أتباعه الخونة، وسخطوا على واضح لغدره وخيائته وفي صيف ١٠١١م (٤٠١هـ) تفاقم بؤس الأندلس لا سيما قرطبة، ونسب الجند إلى واضح ما حاق بهم من النكبات، وأدرك واضح اضطراب مكانته، وصمم على الفرار، غير أن خبر عزمه على الهروب ترامى إلى ابن أبي وداعة فحال بينه وبين تنفيذه: إذ جمع جنده واقتحم بهم قصر الحاجب قائلاً له: «لقد أسرفت في الأموال، ثم تعتزم بعد ذلك على مصالحة البربر؟» ثم ضربه بسيفه، ثم طرحت جثته ونصح أعيان الدولة هشام الثاني أن يسلم المدينة في إطار شروط معينة تعتبر الحد الأدنى من المقبول به، ولكن إزدادت عدوانية البربر، وجاء بعض قادتهم نحو أسوار قرطبة يتحدون أبطال المعسكر الآخر أن يخرجوا لقتلهم رجلاً لرجل وفي يوم ٩ مايو ١٠١٣ (٢٦ شوال ٤٠٣هـ)، ذهب القاضي ابن ذكوان يرافقه بعض الفقهاء بالتوجه رسمياً إلى معسكر البربر وطلبوا لأهالي قرطبة فأعطوه من جديد» ولم يعد للقرطبيين أى شك في المصير الذي سوف ينتظرهم على يد البربر، واقتحم البربر المدينة من الباب المقابل لربض شقنדה، لأن قائداً خائناً باع لهم نفسه وأسلمهم الباب، ودفعت قرطبة ثمن مقاومتها أنهاراً من الدماء، وذهب كثيرون من لطيين والشيوخ: قتل سعيد بن منذر خطيب المسجد الجامع منذ أيام الحكم المستنصر، وقتل ابن الفرضي صاحب تاريخ

علماء الأندلس وقد رسم لنا ابن حزم في كتابه «طوق الحمامة» الصورة في قرطبة عن طريق إخبار الواردين على قرطبة يصفون منزله ومنازل القرطبيين عامة وقد «أحمت رسومها، وطمست أعلامها، وخفيت معاهدها، وغيرها البلي، وصارت صحاري مجدبة بعد العمران، وفيافي موحشة بعد الأانس، وخرائب منقطعة بعد الحسن، وشعاباً مفزعة بعد الأمن، وقال ابن حزم في ذلك شعراً منه:

لئن كان أظماناً فقد طالما سقى

وإن أساءنا فيها فقد طالما سرا

وتحولت القصور إلى أنقاض ونالها يد الدمار وفي اليوم التالي لإحتلال المدينة ذهب سليمان لإمتلاك القصر الخلفي وجئ له بجميع القرطبيين الذين نجوا من سيوف البربر، وأوقفوهم على جانبي الطريق لتحيته، ولكن كان يدرك حقيقة هذه الحماسة المصطنعة فقال متمثلاً بقول شاعر قديم:

يقولون لي أهلاً وسهلاً ومرحباً

ولو ظفروا بي ساعة قتلوني

ولما بلغ القصر جاء بهشام الثاني ووبخه فاعتذر سليمان، وتبرأ من الخلافة قائلاً:

«إني امرئ مغلوب على أمري، متبرئ من الخلافة، ومسلم الأمر إليك

وخالغ لك نفسي والجدير بالذكر أن الفتى واضح في خضم تلك الأحداث قام ببيع ذخائر الكتب التي خلفها الحكم المستنصر، وذلك أثناء حصار المستعين والبربر لقرطبة

=

« واضطرت الفتنة إلى بيع ما كان بقصر قرطبة من ذخائر ملوك الجماعة من الكتب وسائر المتاع، فبيع ذلك بأوكس ثمن وأتفه قيمة وكان تمزق الأندلس على هذا النحو، كان ضربة لم تنهض الأندلس من آثارها، بل كان بداية عهد الانحلال الطويل، وذكرت جمهرة من المؤرخين أن سليمان المستعين اغتال هشام الثاني خنقاً وأشاع أنه فرلوجه، وعمل سقاء بالمرية وانتقل سليمان مع جملة جيشه البربري إلى مدينة الزهراء، بينما أقام بنو حمود العلويون في شقندة ثم أنه قسم بعض كور الأندلس بين رؤساء القبائل البربرية إرضاء لهم، فأعطى البيرة لحبوس بن ماكسن الصنهاجي وذريته، وأعطى سرقسطة لمنذر بن يحيى التجيبي، وأعطى جيان لبني برزال وبني يفرن، ثم أنه منح علياً بن حمود ولاية سبتة، والقاسم بن حمود ولاية طنجة وأصيلا والجزيرة الخضراء، وبذلك غلب العنصر البربري على دولة سليمان المستعين، مما حمل الفتيان العامرين عليها هرب إلى شرق الأندلس، خوفاً على أنفسهم من البربر، وأخذوا يكيدون سليمان المستعين، ويذكر ابن الخطيب أن بعض العامرين الموالي والصنائع الهاشميين أرسلوا إليعل بن حمود على سبتة وثيقة منسوبة إلى هشام المؤيد ويخطه وعهد فيها بالأمر بعده إلى علي بن حمود» ثم تعهدوا له بتدليل الصعاب، وهونوا له أمر الاستيلاء على الخلافة، وأشار عليه حبوس الصنهاجي صاحب البيرة، وخيران صاحب المرية بالتوجه إلى مالقه والاستيلاء عليها ولريتوان على المجاز إلى الأندلس بحجة الإفراج عن هشام المؤيد في الظاهر مع أنه كان يعلم تماماً أن هشام قد مات مقتولاً أما غرضه الأساسي الذي كان يضمرة في الباطن فهو تقويض خلافة سليمان المستعين والظفر بها لنفسه، ثم اتجه إلى المرية حيث اجتمع مع خيران العامري وغيره من الفتيان العامرين ومن هنا

=

هنا ملك بني أمية، إلى قيام بني حمود^(٨٩) العلوية الفاطمية وهم أولاد

زحفت جيوشها نحو قرطبة، بينما تأهب أخوه القاسم لتقديم المساعدات إليه عند الضرورة وبلغ سليمان نبأ تحالف علي بن حمود وخيران العامري عليه، وعلم بمسير جيوشها إليه، فعظم عليه الأمر وخرج بمن تبقى من رجاله للقاء جيوش ابن حمود وخيران مجتمعة، واشتبك الفريقان في محرم سنة ٤٠٧ هـ، ولكن هزموه، وقبضوا عليه وعلى أخيه ودخل علي بن حمود قصر قرطبة في ٢٢ محرم سنة ٤٠٧ هـ (يوليو سنة ١٠١٦ م). وتظاهر علي بعدم معرفته بموت هشام المؤيد حتى يبرر عدوانه على سليمان. وذكر ابن عذاري أنه طمع في أن يجد هشاماً المؤيد بالله حياً، فلم يوجد، وذكر له أنه قتل، وعرض عليه قبره، فأخرجه وتعرف على جثته، ثم أعاد دفنه. وأمر بإحضار سليمان المستعين، فضرب عنقه بيده، ثم ضرب عنق أخيه عبدالرحمن، ثم عنق أبيهما الشيخ وجعل رؤساء ثلاثتهم في طست، وأخرجت من القصر إلى المحلة ينادي عليها. هذا جزاء من قتل هشاماً المؤيد

^(٨٩) بنو حمود: من ملوك الطوائف في الأندلس، حكموا في مالقة والجزيرة سنوات ١٠١٦/١٨-١٠٥٨ م ثم في قرطبة سنوات ١٠١٦-١٠٢٧ م. وهم بنو حمود سلالة عربية من فروع الأسرة الإدريسية (حكام المغرب). تولى علي بن حمود (١٠١٦-١٠١٨ م) سنة ١٠١٣ م ولاية سبتة من قبل الأمويين. أعطي قيادة جيش مكون من مغاربة (بربر وعرب)، من الذين كانوا في خدمة الخليفة الأموي في قرطبة. استولى سنة ١٠١٦ م على الحكم في مالقة، ثم تلقب بالخلافة بعد أن خلع الخليفة الأموي في قرطبة. بعد مقتله تولى أخوه القاسم (١٠١٨-١٠٢١ م) الخلافة، ثم أصبح سنوات (١٠٢٣-١٠٢٥ م) والياً على الجزيرة وطنجة. خلفه يحيى بن علي

إدريس^(٩٠) بن عبدالله ابن الحسن بن الحسن بن علي أمير المؤمنين، صلوات الله عليهم فشمّل ملكهم المغريين جميعاً وكان أول ملك منهم الناصر علي بن حمود^(٩١) ثم المأمون بن حمود^(٩٢) واسمه القاسم^(٩٣) ثم المعتلي يحيى بن

(١٠٢١-١٠٢٣ ثم ١٠٢٥-١٠٢٧ م) على الخلافة في قرطبة. كان كل منهم يحارب الآخر من أجل السلطة سواء في قرطبة أو مالقة. تم إجلالهم عن قرطبة سنة ١٠٢٧ م. توجه يحيى (قتل ١٠٣٥ م) إلى مالقة والجزيرة أين حكم خلفاء لفترة قصيرة. قضى الزيريون (أصحاب غرناطة) سنة ١٠٥٨ م على فرع مالقة، ثم ضمت الجزيرة إلى مملكة بني عباد (أصحاب إشبيلية).

^(٩٠) دولة الأدارسة (١٧٢-٣٦٣ هـ/ ٧٨٨-٩٧٤ م): دولة إسلامية شيعية في المغرب. أسسها إدريس بن عبد الله. استقلت عن الخلافة العباسية وملك المغرب الأقصى وتلمسان. كانت عاصمتها ويلي ثم فاس. ناوأها العباسيون والأغالبة. أضعفتها الانقسامات الداخلية ف وقعت تحت سيطرة الفاطميين. تفرعت عنها دولة بني حمود في الأندلس. أهم آثارها العمرانية تأسيس مدينة فاس ومبانيها لا سيما جامع القرويين.

^(٩١) وبويع علي بن حمود في باب السندة من قصر قرطبة يوم الاثنين لسبع بقين من محرم سنة سبع وأربع مائة. وكان علي بن حمود من نسل الأدارسة الذين يرجع نسبهم إلى الحسن بن علي بن أبي طالب وتسمى بالخلافة وتلقب بالناصر بيد أنه بالرغم من هذه النسبة العلوية، التي يتحلها بنو حمود، فإنهم، كانوا يهتمون في الواقع من حيث النشأة والعصية والمصير، إلى البربر وقد أخذ علي بن حمود مقاليد الأمور في يده، وظن الناس أنهم قادمون على عهد أحسن من سابقه، ولم يجعل علي بينه وبينهم

حجاباً فكان مجلس للإستماع لكل ما يريدون قوله على أن الحوادث تطورت بسرعة. ذلك أن خيران العامري لما دخل قرطبة مع علي بن حمود ولم يجد الخليفة هشاماً على قيد الحياة، خشى سطوة الناصر. فغدر قرطبة معلناً الخلاف وأعاد الدعوة لبنى أمة في شخص مرشح جديد وهو عبدالرحمن بن محمد بن عبدالله بن عبدالرحمن الناصر فاستدعاه خيران وبايعه ولقبوه بالمرتضي وفي ذلك الوقت تحول علي بن حمود - فجأة - عن السياسة المعتدلة التي فضل السير عليها منذ البداية «فلما شنأته القلوب وأثقلته الأوزار، والتقت عليه الأكف، وخلصت فيه النجوى، وتوالى عليه الدعاء، نظر الله إلى عبادته، وسلط عليه أضعف الخليقة: صبياناً أغماراً من صقالبة بني مروان كانوا أقرب الناس إليه، وأدناهم من حرمة، وأحقهم في عينه، جسروهم الله تعالى على إلبث عليه بموضع أبيه، في حمام قصره وكانوا ثلاثة من الصقلب رفقاء، فيهم وصيف حسن الوجه جداً كان يخف عليه اسمه: منجح وليب وعجيب، دبروا جميعاً عليه فقتلوه ليلاً غرة ذي القعدة من سنة ثمان وأربعمائة»

(٩٢) بعد مقتل علي بن حمود بعث زعماء زناتة إلى أخيه القاسم نبأ موته، وكان يومئذ والياً لأشبيلية، فحضر مسرعاً وبويع بالخلافة في الثامن من ذي القعدة، وتلقب بالمأمون وبدأ بداية عهده بداية طيبة إذ اهتم بنشر الأمن في ربوع البلاد، وحاكم قتلة أخيه، فأقروا بجريمتهم وأنكروا مواطاة أحد معهم في تدبيرها، فأمر بقتلهم غير أن هذا الاطمئنان لم يطل أمده، فسرعان ما وقع القاسم تحت سيطرة البربر والفتيان العامرية القائمين بشرق الأندلس، فضعف أمره وتلاشى سلطانه وكرهه أهل قرطبة لذلك، وندموا على خذلانهم لآل مروان فكان القرطبيون ينتظرون النجدة على يد

=

الناصر^(٩٤) على ابن حمود ثم إدريس بن يحيى ثم انقضي ملكهم بمنازعات

=

عبدالرحمن بن محمد بن عبدالرحمن الناصر الذي رشحه خيران ولقبه بالمرتضى كما سبق أن ذكرنا.

ولما كان هذا الأموي يتمتع بالحزم والإقدام فقد بدرت عنه منذ الأيام الأولى تصرفات توحى بقوة الشخصية وأنه لن يسمح بلعب دور غير معروف الملامح أرادوه له. فلم يجد هؤلاء طريقاً للتخلص منه إلا خيانتته خيانة نكراء فعاهدوا زاوي على التخلي عن المرتضى حالما تبدأ المعركة ولما هجر المرتضى أكثر جنده أخذ يقاتل في شجاعة اليأس المستميت، ولما لبث أن وقع في أيدي أعدائه، غير أنه تمكن من الإفلات منهم والهروب إلى وادي آش خارج حدود غرناطة، لكنه قتل على يد جماعة من جواسيس خيران كانوا يترصدونه.

(٩٣) استتب الأمر للقاسم، فعدل عن سياسة الشدة إلى اللين والمسالمة وأحسن إلى الناس، ونادى بالأمان، وعرض سراقق المرتضى ليراه الناس. ولكن سرعان ما وقع القاسم تحت سيطرة البربر وازداد نفوذهم بعد قضاءهم على المرتضى وتسلطوا على دولة القاسم بن حمود وانتهز يحيى وإدريس ابن أخيه المقتول (علي) فرصة ضعفه وعملا على خلع عمهما.

(٩٤) هو يحيى بن علي بن حمود بويع في قرطبة ٤١٢ هـ وانتهز يحيى وإدريس ابن أخيه المقتول (علي) فرصة ضعفه وعملا على خلع عمهما. فاتفقا على أن يتولى يحيى أمر مالقة ويتولى إدريس أمر سبتة، وما كاد يحيى ينتقل إلى مالقة حتى جمع جيشاً من جيرانه البربر وزحف به إلى قرطبة ولحقوا القاسم على مواجهة هذا الجيش. فاضطر

=

من هنالك من بني أمية، واسترجعوا الأمر منهم وكانت هذه العودة من دولة بني أمية الثانية في المغرب، فأول خليفة منهم المستظهر بالله^(٩٥) بن

القاسم إلى ترك المدينة والالتجاء إلى إشبيلية التي استمرت على تأييدها له، ورفضه مبايعة ابن أخيه يحيى ودخل يحيى بن علي بن حمود قرطبة بعد ذلك بأيام قلائل في مستهل جمادى الأولى سنة ٤١٢ هـ. وبويع بالخلافة وتلقب بالمعتلي بالله، واستقبل البربر والأندلسيون معاً رياسته الاسبتشار والرضى ولكنه وقع مثل عمه القاسم تحت نفوذ البربر وإمرتهم، فاستبدوا به وضيقوا عليه بل وقاموا بخلعه في الثاني عشر من ذي القعدة سنة ٤١٣ هـ. ولم يجد إلا الفرار وسيلة، واستقر به المقام في مالقة فعاد عمه القاسم إلى قرطبة ليتولى السلطة، إلا أن حكمه لم يدم إلا شهوراً قلائل إذ خلعه أهلها بسبب تسلط البربر على شئون دولته واستبدادهم بالسلطان فثاروا عليه وأجمعوا على خلعه سنة ٤١٤ هـ وفر القاسم وأصحابه إلى إشبيلية، وكان بها ولداه محمد والحسن، فأغلق أهل إشبيلية أبواب مدينتهم في وجهه وذلك لكرهيتهم للبربر، ثم أخرجوا ولديه، وعهدوا بأمرهم إلى القاضي محمد بن إسماعيل بن عباد^(٩٥) حين استرد أهل قرطبة إستقلالهم فكروا في تنظيم الأمور بها وترتيبها بإرجاع الأمويين إلى العرش دون اللجوء إلى الثورة.

وكان ثمة ثلاثة من المرشحين الذي اعتبروا أصح من بقى من بني أمية لتولى الخلافة، هم سلميان بن المرتضى، ومحمد بن العراقي، وعبدالرحمن بن هشام. ثم إستقر الأمر لعبد الرحمن فبويع وتلقب بالمستظهر وكان الخليفة الجديد شاباً لا يكاد يبلغ سن الرشد وكان يتميز بثقافة واسعة إلا أنه غير مؤهل لممارسة أية سلطات على شعب غير مستقر الأوضاع... فلم يمكث في الحكم إلا سبعة وأربعين يوماً وقيل

عبدالرحمن بن هشام بن عبد الجبار السابق بن الناصر ثم المستكفي^(٩٦) محمد بن عبدالرحمن بن عبدالله بن الناصر ثم المعتد هشام^(٩٧) بن محمد بن

أن أهل قرطبة ثاروا عليه لإكرامه وفدأ من البربر قدموا عليهم، فصاح الناس: عاد شر البربر جدعاً، وهاج الناس وماجوا وقتلوا الضيوف البربر، وحاصروا القصر وتسلق الثوار سور القصر.. واستخفى في أبن الحمام

^(٩٧) ثار أهل قرطبة على المستظهر لإكرامه وفدأ من البربر قدموا عليهم، فصاح الناس: عاد شر البربر جدعاً، وهاج الناس وماجوا وقتلوا الضيوف البربر، وحاصروا القصر وتسلق الثوار سور القصر.. واستخفى في أبن الحمام، وفي هذه الأثناء أجلس الناس محمداً ابن عبدالرحمن بن عبيد الله الناصر مجلس الخلافة وبإيعوه في ٣ ذي القعدة سنة ٤١٤ هـ. ثم عثر على المستظهر فيما بعد وحمل إلى محمد بن عبدالرحمن الذي تلقب بالمستكفي بالله وقتل أمامه واستقل بأمر قرطبة، وهو والد الأديبة الشهيرة ولادة ويقول عنه صاحب البيان المغرب «كان عاطلاً من الخلال الحسنة، ميالاً إلى البطالة، شغوفاً بالمجون والشراب وفي أيامه إمتد الدمار إلى قصور عبدالرحمن الناصر في قرطبة وقصور الزاهرة» وفي ٢٥ من ربيع الأول سنة ٤١٦ هـ دخل عليه وزرائه وأمره بأن يخرج معهم لمقاتلة يحيى بن علي بن حمود الذي زحف من مالقة بقصد الاستيلاء على قرطبة.

فتظاهر بالقبول، وهو يضمّر في نفسه النجاة بحياته فتسلل من قصر قرطبة في زي غانية بين امرأتين لريميز منهما، وخرج من قرطبة مع بعض رجاله، ويبدو أنه اختلف معهم على مال أثناء الطريق، فقتلوه في بلدة أقليم ومضت بضعة أشهر، والحكومة في قرطبة في فوضى لا ضباط لها.

(١٧) وأجمع القرطبيون على اثر ذلك على رد الأمر لبني أمية، وكان عميدهم في ذلك الوزير أبو الحزم جهور بن محمد بن جهور، واتفقوا على مبايعة هشام بن محمد بن عبدالله بن عبدالرحمن الناصر وبعث إليه أهل قرطبة بالبيعة وهو بمقره بحصن البونت، فتلقاها في ٢٥ ربيع الآخر سنة ٤١٨ هـ وتلقب بالمعتد بالله. وكان هشام الثالث (المعتد) أضعف من أن يحقق الآمال المعقودة عليه، ذلك أنه رغم طيبته وساحته متردداً، كسولاً.

لا يعنيه غير ملء بطنه لأعلى وقد تبين للأشراف غداة مقدمه عدم توفيقهم في اختيارهم إياه، وعقد في داره الملك إجتماع كبير قدم فيه جميع الموظفين إلى الخليفة الذي لم يألف هذه الإجتماعات ولا تلك الخطب، فلم يفتح عليه بغير كلمات قلائل حتى لقد أناب في الكلام عنه أحد الوزراء، أما هو فقد إرتج عليه ولم يفه بكلمة يطيب بها خاطر الشعراء الذين كانوا ينشدون بين يديه ما أعدوه من قصائد بمناسبة إعتلائه العرش، بل لقد ظهر عليه أنه لم يفهم شيئاً مما كانوا ينشدون ولذلك «ليرطل عهده بقرطبة إذ استوزر رجلاً يعرف بحكم ابن سعيد القزاز، ويكنى بأبي العاص، كان يكرهه أهل قرطبة لاستبداده برأيه وتعسفه، ومخالفته لآراء الوزراء السابقين، وإكرامه للبربر وإجزاله لهم العطاء، فبطشوا به وقتلوه. وانتهر أمية بن عبدالرحمن بن هشام بن سليمان، أحد أمراء بني مروان، فرصة مقتل الوزير المذكور، ليحرض العامة على المعتد سعيلاً لاسقاطه، وإعتلاء كرسي الخلافة مكانه وثار أهل قرطبة وراء أمية في ١٢ ذو الحجة سنة ٤٢٢ هـ، وحاصر العامة قصر الخلافة، وأخرج هشام من قصره هو ونسائه وولده، وأنزل إلى ساباط المسجد الجامع المؤدي إلى المقصورة، وظل هناك أسيراً ذليلاً، يتوقع الموت في كل لحظة.

=

عبدالملك بن الناصر وهذا آخر خلفاء الجماعة في الأندلس، واجتثوا من فوق الأرض ما لهم من قرار ولما خلع أسقط أهل المغرب وملوكها الأندلس، مثل بنو جهور^(١٨)، وكان بنو جهور في الأصل وزراء للملك بنو

وفي هذه الأثناء إجتمع شيوخ قرطبة والوزراء برئاسة أبي الحزم بن جهور، واتفقوا على خلع المعتد بالله، وإبطال رسم الخلافة جملة، ولكن أمية بن عبدالرحمن كان حريصاً كل الحرص على الظفر بها ولم يكن يخطر بباله أن تنتهي الأمور كذلك. ونودي في الأسواق والأرباض ألا يبقى بقرطبة أحد من بني أمية، وألا يكنفهم أحد من أهل المدينة وانتهى بذلك أمر بني أمية في الأندلس وزالت خلافتهم وانقطعت الدعوة لهم وسقطت الخلافة الأموية، وكأنها قلعة من ورق وإذ تمخض الصراع في قرطبة عن تعطيل الخلافة؛ انفطرت وحدة الأندلس، وتجزأت البلاد إلى دويلات طائفية إقطاعية إقليمية و«لما اضمحل أمر الخلافة من بني أمية وبني حمود بعدهم بالأندلس، وثب الأمراء على الجهات، وتفرق ملك الأندلس في طوائف من الموالي والوزراء وكبار العرب والبربر أما في قرطبة فقد أجمع كبار أهلها بعد إلغاء الخلافة وعمدوا إلى (ابن جهور) فأسندوا إليه السلطة التنفيذية وقد كان مشهوراً عندهم جميعاً بجدارته وكفاءته لتقلد هذا المنصب

(١٨) وينتمي ابن جهور إلى بيت من أعرق بيوتات الموالي الأندلسية وهو أبو الحزم بن محمد بن عبيد الله بن أحمد بن محمد من أهل بيت ووزراء وسوف يحكم الدولة جماعة من الوزراء على نظام شبه جمهوري ولم يستبد بالسلطة.. وإنما كون مجلساً للحكم من شيوخ أهل قرطبة وانتخب أميناً لهذا المجلس، وكان لا يصرف أمراً إلا بعد الرجوع إلى جماعة الشيوخ هؤلاء ويقول عنه المراكشي في المعجب أنه دبر الأمور تدبيراً لم

=

يسبق إليه وذلك أنه جعل نفسه مسكاً للموضوع إلى أن يجيء من يتفق الناس على إمارته فيسلم إليه ذلك، ورتب البوابين والحشم في القصور على ما كانت عليه أيام الدولة ولم يتحول عن داره إليها، وجعل ما يرتفع من الأموال السلطانية بأيدي رجال رتبهم لذلك وهو المشرف عليهم، وصير أهل الأسواق جنداً له، وجعل أرزاقهم رؤوس أموال تكون بأيديهم محصاة عليهم يأخذون ربحها ورؤوس الأموال باقية، وفرق السلام عليهم حتى إذا دهمهم أمر في ليل أو نهار كان سلاح كل واحد معه ودبر الأمور تدبير السلاطين المتغلين وكان مأموناً إلى أن مات في صفر سنة خمس وثلاثين وأربعمائة.

ولما توفي خلفه ابنه أبو الوليد بن جهور فسار على سيرة أبيه استمرت الأحوال على إنتظامها حيناً، ولكننا أبا الوليد ما لبث أن تنكب عن سياسة أبيه، فقدم على الناس ولده عبد الملك، وأخذ عليهم العهد له، فأساء عبد الملك السيرة، واستبد بالسلطة فقام المأمون بن ذي النون صاحب طليطلة بالتحرش به ومعه حليفة هذيل صاحب شتمرية الشرق وحاول مسالمتها فلم يفلح وقاموا بحصار قرطبة؛ فأرسل يستنجد بابن عباد (المعتمد بن عباد) صاحب أشبيلية ونجحوا في هزيمة الطليطليين. وهنا رأى الإشبيليون الفرصة سانحة لتنفيذ خطة سيدهم ابن عباد.

«فبينما كان جيش قرطبة لا يزال مشغولاً بمطاردة العدو بإمرة عبد الملك ابن جهور، سار ابن عمار إلى المدينة ولم يظن إنسان بالحلفاء سوءاً، ودخلها دون معارضة واحتل مراكزها الحصينة، قبل أن يفطن القرطبيون إلى أن أصدقاءهم قد انقلبوا عليهم وأطلق ابن حيان على هذه الحادثة إسم «البطشة الكبرى». وكانت عنواناً لإحدى كتبه المفقودة.

وكان الأمير محمد بن جهور مريضاً طريح الفراش، فوقع أسيراً في يد أعدائه، ولم يعيش بعد هذه الخيانة المروعة سوى أيام قلائل. ولم يكن مصير ابنه عبد الملك بأفضل من مصيره، فقد عاد من مطاردة الطليطليين إلى قرطبة، فألغى أبوابها المغلقة دونه. ولما طلب إليه التسليم أدرك في الحال، ما ارتكبه الحلفاء الغادرون من خيانة أئيمة. واستشاط سخطاً ووجداء، فألقى بنفسه أمام قوة كبيرة تحديق به من كل صوب. ولبث يقاتل قتال المنتقم اليائس حتى أثخن جرحاً، وسقط من فوق جواده مغشياً عليه، ثم توفي في الأسر بعد ذلك بأيام وهو يصب اللعنات على ابن عباد وعلى أهل قرطبة اللذين استقبلوا الخونة طائعين سنة ٤٥٢ هـ/١٠٦٠ م.

والطريقة التي اتبعها المعتمد في أخذ قرطبة ترينا طابع السياسة المكيافيلية التي كانت غالبية على هذا العصر بوجه خاص، وتكشف لنا عن سوء علاقة ملوك الطوائف بعضهم ببعض، وكيف كان كل منهم يبغي هلاك الآخر ليستلب ملكه». وندب المعتمد بن عباد ولده الفتى عباداً الملقب بالظاهر وسراج الدولة لحكم قرطبة، التي يتصل تاريخها من ذلك الحين بتاريخ مملكة إشبيلية.

ولم يكن ابن ذي النون يعتقد أن مسألة قرطبة قد انتهت وإنما قد خلصت لابن عباد، فشن غارة على أحوازها مع جنود خليفة الفونسو السادس، ولكن الأمير الشاب الناشئ استطاع أن يصد هجومهم ويدفع غائلتهم.

وعقد ابن ذي النون على الاستيلاء على قرطبة وذلك بمساعدة ابن عكاشة.

وكان ابن عكاشة رجلاً سفاكاً للدماء، كما كان من قبل قاطع طريق يعتصم بالجبال، ولم تكن تنقصه الكفاءة كما أن معرفته بقرطبة كانت معرفة الخبير حيث قدر له أن يلعب دوراً فيها من قبل حين كان في يده أحد حصونها، فأخذ يدبر المكائد ويحيك

المؤامرات بقرطبة، ولم يكن ذلك بالأمر العسير عليه نظراً لتدمير الكثيرين من أهلها من سير الأحداث بها. واستطاع ابن عكاشة أن يستولي على قرطبة. وبعد أيام قلائل جاء المأمون بنفسه لقرطبة وأظهر شكره العميق لابن عكاشة وثقته به، ولكنه كان في صميم نفسه يخشى هذا اللص المغامر المتمرس بالجرائم، وكان يرى أن من تناول على قتل الأمراء وأبناء الملوك لا يؤمن شره، ولذلك شرع يتحين الفرص للخلاص منه.

وفي شهر يونيو من سنة (٤٦٨ هـ - ١٠٧٥ م) مات المأمون مسموماً بعد مجيئه إلى قرطبة بستة أشهر، فاتهم أحد رجال حاشيته بأنه المدبر لقتله.

أما عن سائر مدن الأندلس فقد أصبحت غنيمة في أيدي المحاربين المرتزقة من البربر أو انتشرت النزاعات والصراعات الداخلية بين ملوك الطوائف، وسعى كل واحد منهم إلى الانفراد بالسلطة، واضطر هؤلاء الملوك إلى دفع مبالغ طائلة كجزية لجيوش النصارى ليوقفوا إلى جوارهم أو ليكفوا أيديهم عنهم.

وليس أبلغ تعبيراً في وصف حال الأندلس في تلك الفترة من قول الشاعر ابن رشيق القيرواني

مما يزهدي في أرض أندلس..... أسماء معتضد فيها ومعتمد
ألقاب مملكة في غير موضعها..... كاهل يحكي انتفاخاً صورة الأسد

أمية بعد دولة الأرديسية وقبلها، وأولهم جهور بن محمد وأبو الحزم^(٩٩) وتفصيل ذلك وتعبيره من ملوك الطوائف^(١٠٠) مبسوطاً في التاريخ، ثم المعتمد بن عباد^(١٠١) رحمه الله وكان في إشبيلية^(١٠٢)، وابن عاديا^(١٠٣) وبني

^(٩٩) أبو الحزم جهور بن محمد بن جهور أمير قرطبة ورئيسها وصاحبها ساس البلد أحسن سياسة وكان من رجال الدهر حزمًا وعزماً ودهاءً ورأيًا ولم يتسم بالملك وقال: أنا أدبر الناس إلى أن يقوم لهم من يصلح.

^(١٠٠) في الأصل: الطوائف.

^(١٠١) لما انهارت الخلافة الأموية بالأندلس في أوائل القرن الخامس الهجري، انقسمت الأندلس إلى دويلات صغيرة، وإمارات مستقلة، وأعلن كل أمير نفسه ملكاً، ودخلت الأندلس في عصر جديد، عُرف باسم «ملوك الطوائف»، وهو اسم صادق في مسماه، دالٌّ على ما كانت تعانيه البلاد من تمزق وانحلال، ولم يكن يربط بين ملوك دول الطوائف رباط المودة، أو عرى الصداقة، أو وشائج المصلحة، وإنما نفخ الشيطان في روعهم؛ فهم في شقاق مستمر، يقاتل بعضهم بعضاً، يتزعزق القوي منهم ما في يد الضعيف، يستنصرون بالنصارى، ويخالفونهم ضد بعضهم دون وازع من دين أو ضمير وفي الوقت الذي تجري فيه أحوال ملوك الطوائف على هذا النحو من التفكك والضياع، كانت النصرانية في شمال الأندلس يتحد ملوكها، وتزداد الروابط بينهم قوة ومتانة، ويجمعون أمرهم على هدف واحد، وتحقق لهم النصر في بعض المواطن، لا عن قوة منهم وحسن إعداد، وإنما عن ضعف العرب المسلمين، وفرق كلمتهم، وكان يحكم أسبانيا في هذه الفترة ملك طموح عالي الهمة هو «ألفونسو السادس» الذي نجح في توحيد مملكتي قشتالة وليون، وسيطر على الممالك المسيحية الشمالية، وهدد ملوك الطوائف، وألقى الفزع في قلوبهم؛ فراحوا يتوددون إليه،

ويدفعون له الجزية عن يد وهم صاغرون قامت دولة بني عباد في إشبيلية على يد القاضي أبي القاسم محمد بن إسماعيل بن عباد، وكان رجلاً طموحاً؛ فتطلعت أنظاره إلى جيرانه المسلمين، وانتزع ما في أيديهم، فاشتبك أبو القاسم - ومن بعده ولده أبو عمرو عباد، الملقب بالمعتمد بالله (٤٣٣ - ٤٦١ هـ = ١٠٤١ - ١٠٦٨ م) - في سلسلة من الحروب الطاحنة مع أمراء غرناطة ومالقة وقرطبة وإمارات ولاية الغرب، انتهت باستيلاء بني عباد على قرطبة وقرمونة وإستجة ورندة وما حولها من الأراضي، وعلى لبلة وشلب وباجة في غرب الأندلس، واتسعت بذلك مملكة إشبيلية، وغدت أعظم قوة في جنوب الأندلس كان المعتمد بن عباد حين آل إليه حكم إشبيلية سنة (٤٦١ هـ = ١٠٦٨ م)، في الثلاثين من عمره، شاباً فتياً، فارساً، شجاعاً، شاعراً مجيداً، وأميراً جواداً، ذا خلال باهرة، يحب الأدب ومسامرة أهله؛ فاجتمع في بلاطه نجوم ساطعة من أرباب ونوابغ القصيد من أمثال أبي بكر بن عمار، وابن زيدون، وابن اللبانة، وابن حمديس الصقلي، وكما كان المعتمد شاعراً مجيداً، كانت زوجته اعتماد الرميكية شاعرة كذلك، تجمع إلى جمالها الفاتن البراعة في الشعر والأدب، وكانت إشبيلية حاضرة دولته آية في الروعة والبهاء، تزدان بقصور بني عباد وقواده وكبار رجال دولته غير أن المعتمد بن عباد سلك في سبيل تحقيق أطماعه وطموحاته مسلك أبيه وجده من مملأة ألفونسو السادس ملك قشتالة على حساب إخوانه المسلمين، ولم يجد في نفسه غضاظة، وهو يقوم بدفع الجزية للملك القشتالي وكان من ثمار هذه السياسة المتخاذلة التي اتبعها المعتمد بن عباد وغيره من ملوك الطوائف أن سقطت طليطلة بعد حصار قصيرة في غرة صفر سنة (٤٧٨ هـ = ٢٥ من مايو ١٠٨٥ م) في أيدي القشتاليين، وكان لسقوطها دويٌّ هائل، وحزن

عميق في العالم الإسلامي، ولم يكن سقوطها لعجز في المقاومة، أو ضعف في الدفاع، أو قلة في العتاد؛ بل سقطت لضياح خلق النجدة والإغاثة، وضياح شيم المروءة والأخوة، تركها جيرانها من الممالك الإسلامية وهي تسقط دون أن يمد لها أحد يداً، أو تهب قوة لنجدها. شجعت مواقف ملوك الطوائف المخزية، وعدواتهم لبعضهم البعض، وأثرتهم، وغلبة مصالحهم الذاتية على مصالح أمتهم أن يقوم «ألفونسو» - وقد ملأ الزهو والإعجاب نفسه، واستهان بملوك المسلمين - بالتهام حواضر الأندلس الأخرى؛ فراح يهدد سرقسطة وإشبيلية وبطليوس وغيرها، وأخذت قواته تحتاح أراضي المسلمين، وتخرب مدنها ومروجهم، واستيقظ ملوك الطوائف على حقيقة مروعة ونهاية محتومة ما لم يتداركوا أمرهم، وتحد كلمتهم على سواء؛ فسقوط طليطلة ليس عنهم ببعيد، وأدرك المعتمد بن عباد أنه أشد ملوك الطوائف مسئولية عما حدث؛ فكان بمقدوره نجدة طليطلة، ومد يد العون إليها، ولكنه لم يفعل؛ فقد غلّت يده معاهدة مخزية عقدها مع ألفونسو، بمقتضاها يتعهد ملك قشتالة بمعاونة المعتمد ضد جيرانه المسلمين، وفي مقابل ذلك يتعهد المعتمد بأن يؤدي الجزية لملك قشتالة، وأن يطلق يده في أعماله العسكرية ضد طليطلة، دون أن يتدخل لمساعدتها، ولما سقطت طليطلة بدأ ألفونسو السادس - وكان لا خلاق له - يشتد في مطالبه المالية، ويشد في معاملته المعتمد، ويتعمد إهانته؛ بل كاتبه بأن يسلم إليه بلاده ويتنذر بسوء المصير، وقرن تهديده بالعمل؛ فاجتاحت قواته بلاد المعتمد بن عباد، وخربت مدنها وقراها لم تكن قوى ملوك الطوائف تكفي لدفع خطر ألفونسو، وحماية أنفسهم من هجماته؛ فتطلعت أبصارهم إلى الضفة الغربية من البحر المتوسط؛ حيث دولة المرابطين، وكانت دولة قوية، بسطت نفوذها بالمغرب،

=

واشتهر سلطانها «يوسف بن تاشفين» بحبه للجهاد وإقامة حكومة على العدل والقسطاس، وكان للمعتمد بن عباد يد طولى في الاستعانة بالمرابطين في جهادهم ضد القشتاليين، بعد أن أبدى بعض ملوك الطوائف تخوُّفهم من أن يطمع المرابطون في بلادهم، وأظهروا ترددًا في فكرة الاستنصار بهم، وكادت الفتنة تستطير لولا أن أخذها المعتمد بكلمته الماثورة التي سادت في التاريخ: «رعي الإبل خير من رعي الخنازير»؛ يريد بذلك أنه يفضل أن يكون أسيرًا لدى أمير المرابطين يرعى إبله خير من أن يكون أسيرًا لدى ملك قشتالة استجاب يوسف بن تاشفين لنداء أمراء الأندلس، فعبر إليهم بقوات ضخمة، وسارت قوى الإسلام المتحدة إلى قتال ألفونسو الذي كان مشغولًا بمحاربة ابن هود أمير سرقسطة؛ فلما علم بنبأ هذه الحشود ترك محاربة ابن هود، وجمع جنداً من سائر الممالك النصرانية للقاء الجيوش الإسلامية، والتقى الفريقان في سهل الزلاقة بالقرب من بطليموس في معركة هائلة في (١٢ من رجب ٤٧٩ هـ = ٢٣ من أكتوبر ١٩٨٦ م) ثبت فيها المسلمون، وأبلوا بلاءً حسناً، وانتهت المعركة بانتصار عظيم، عُد من أيام الإسلام المشهودة، وقتل معظم الجيش القشتالي، ومن نجا منهم وقع أسيراً، وهرب ألفونسو بصعوبة بالغة في نفر قليل من رجاله جريحاً ذليلاً شاهد أمير المرابطين عند نزوله الأندلس ما عليه أمراؤها من فُرقة وتنابد وميل إلى اللهو والترف ورغبة في الدعة، وانصرفهم عن الجهاد والعمل الجاد، وإهمال للرعية وتقاعس عن حماية الدين والوطن من خطر النصاري المتصاعد، فعزم على إقالة هؤلاء الأمراء المترفين المنشغلين بأنفسهم عن مصالح أمتهم، وعزز من هذه الرغبة فتاوى كبار الفقهاء من المغرب والأندلس بوجوب خلع ملوك الطوائف؛ حماية للدين ووقوفاً ضد أطماع القشتاليين، وكان

=

=

حجة الإسلام أبو حامد الغزالي وأبو بكر الطرطوشي على رأس القائلين بهذه الفتوى.

عبر يوسف بن تاشفين بجيش ضخم إلى الأندلس للمرة الثالثة لهذا الغرض الذي عزم عليه في سنة (٤٨٣ هـ = ١٠٩٠ م)، وكان قد عبر إليها قبل ذلك في سنة (٤٨١ هـ = ١٠٨٨ م)، ولكنه لم يقيم بغزوات ذات شأن، وازداد سخطاً لما بدا من تقصير أمراء الطوائف في نصرته، وفي هذه المرة اتجه يوسف بن تاشفين إلى طليطلة، واجتاح في طريقه أراضي قشتالة دون أن يتقدم أحد من ملوك الطوائف لنصرته بعد أن توجسوا منه خيفة، وأدركوا ما عزم عليه، وكان أمير المرابطين يرغب في استعادة طليطلة، ولكنه لم يوفق نظراً لمناعتها، وقوة أسوارها، فعاد إلى إشبيلية وفي نيته أن يستخلصها هي وغيرها من مدن الأندلس وحواضرها، وازدادت عزيمته إصراراً على تنفيذ ما قرره في قلبه بسبب ما ترامى إليه من عودة ملوك الطوائف إلى عقد اتفاقيات سرية مع ملك قشتالة، يتعهدون فيها بالامتناع عن معاونه المرابطين، واستهل يوسف بن تاشفين حملته الظافرة بالاستيلاء على غرناطة، ودخلها في (١٠ من رجب ٤٨٣ هـ = سبتمبر ١٠٩٠ م)، وقبض على أميرها عبد الملك بن ملكين، وبعث به سجيناً إلى أغمات بالمغرب. بعث أمير المرابطين بجيوشه لفتح مدن الأندلس واحدة بعد أخرى، وأرسل قائده الفاتح «سيرين» إلى إشبيلية لفتحها، وأدرك المعتمد أن معركته مع المرابطين هي معركة وجوده؛ فتهيأ لها، واستعد، وتأهب للدفاع عن ملكه وسلطانه بكل ما أوتي من قوة، واستعان بحليفه ألفونسو، فأعانه وأمدّه بجيش كبير، ولكن المرابطين هزموه على مقربة من قرطبة، وامتنع المعتمد بن عباد بإشبيلية حاضرة مملكته.

=

وفي أثناء حصاره تساقطت مدن مملكته في أيدي المرابطين واحدة بعد أخرى؛ فسقطت قرطبة، وقُتل فيها «الفتح بن المعتمد» مدافعا عنها، ثم سقطت رندة، وقُتل ولده «يزيد الرازي بالله» بعد أسره، وظل المعتمد يدافع عن حاضرتة حتى اقتحم المرابطون إشبيلية عنوة، فخرج يقاتلهم عند باب قصره غير وَّجِلٍ ولا هيَّاب، ولكن ذلك لم يدفع عنه شيئا، ووقع أسيرا واستولى المرابطون على إشبيلية في (٢٢ من رجب ٤٨٤ هـ = ٧ من سبتمبر ١٠٩١ م).

أمر قائد المرابطين بحمل المعتمد بن عباد وآل بيته إلى منفاهم بالمغرب، وسارت بهم السفينة من إشبيلية في نهر الوادي الكبير في طريقها إلى المغرب، وخرج الناس لتوديعهم محتشدين على ضفتي النهر، وقد ملأ الدمع أعينهم، وذابت قلوبهم حسرة وألما على ملكهم الذي أدبرت عنه الدنيا؛ فخرج هو وأسرته على هذه الصورة المخزية بعد الجاه والسلطان، وقد سجل الشاعر الأندلسي الكبير ابن اللبانة هذا المشهد الحزين بقصيدة مبكية جاء فيها:

حان الوداعُ فضجَّت كل صارخة

وصارخ من مُفدأة ومن فادي

سارت سفائنهم والنوح يتبعها

كأنها إبل يحدو بها الحادي

كم سال في الماء من دمعٍ وكم حملت

تلك القطائع من قطعات أكباد

وبعد أن وصلت السفينة إلى المغرب أقام المعتمد وأسرته أياما في طنجة، ثم أخذوا بعد ذلك إلى مكناسة، وقضوا هناك أشهرا قبل أن يرحلوا إلى منفاهم إلى أغمات،

وهي مدينة صغيرة تقع على مقربة من مراكش عاصمة دولة المرابطين، وكان قد سبق المعتمد إلى هذا المنفى «عبد الله بن بلكين» أمير غرناطة.

وفي أغمات عاش المعتمد كاسف البال، كسير القلب، يُعامل معاملة سيئة، ويتجرع مرَّ الهوان، ليس بجانبه من يخفف عنه مأساته، ويطارحه الحديث؛ فتأنس نفسه وتهدأ. ينظر إلى بناته الأقمار؛ فيشقيه أنهن يغزلن ليحصلن على القوت، ولكنه كان يتجلد ويتذرع بالصبر، ويلجأ إلى شعره، فينفس عن نفسه بقصائد مُشجبة مؤثرة. تدخل عليه بناته السجن في يوم عيد، فلما رآهن في ثياب رثة، تبدو عليهن آثار الفقر والفاقة؛ انسابت قريحته بشعر شجي حزين:

فيما مضى كنت بالأعياد مسرورا

فساءك العيدُ في أغمات مأسورا

ترى بناتك في الأطمار جائعة

يغزلن للناس لا يملكن قطميرا

برزن نحوك للتسليم خاشعة

أبصارهن حسيرات مكاسيرا

يطأن في الطين والأقدام حافية

كأنها لم تطأ مسكا وكافورا

واشتدت رطاة الأسر على اعتماد الرميكية زوجة المعتمد، ولم تقوَ طويلا على مغالبة المحنة؛ فتوفيت قبل زوجها، ودُفنت بأغمات على مقربة من سجن زوجها.

المظفر^(١٠٤) والعبيدية منهم المتقدم ومنهم المتأخر إذ ليس الغرض ترتيبهم،

وظال أسر المعتمد وسجنه فبلغ نحو أربع سنوات حتى أنقذه الموت من هوان السجن وذل السجان؛ فلقي ربه في (١١ من شوال ٤٨٨ هـ = ١٠٩٥ م) ودُفن إلى جانب زوجته..

^(١٠٦) إشبيلية (بالإسبانية: Sevilla) هي عاصمة منطقة الأندلس ومحافظة إشبيلية في جنوب إسبانيا، وتقع على ضفاف نهر الوادي الكبير. يزيد عدد سكان المدينة بضواحيها عن ١.٥ مليون نسمة. اشتهرت أيام الحكم الإسلامي لإسبانيا وكان عبد الرحمن الثاني قد أمر ببناء أسطول بحري ودار لصناعة الأسلحة فيها في أواسط القرن التاسع الميلادي من أشهر حكامها المعتمد بن عباد وسميت (حصص) نسبة لنزول جند الشام فيها أثناء الفتح الإسلامي. من معالمها منارة الخيران التي بنيت بأمر من السلطان أبو يوسف يعقوب المنصور الموحدية.

^(١٠٧) لم نقف عليه.

^(١٠٨) بنو المظفر: وشهرتهم بنو الأفطس من ملوك الطوائف ١٠٢٢-١٠٩٤ م: سلالة بربرية الأصل عرفت أيضاً ببني مسلمة. كان مؤسس السلالة عبد الله بن مسلمة من كبار رجالات الحكم الثاني الخليفة الأموي. اقتطع لنفسه إمارة بطليوس بعد أفول الخلافة بقرطبة، تمكن بنو الأفطس بعدها لبعض الفترات من تملك شرق إسبانيا وجزء من البرتغال. على مدى ثلاثة أجيال من الحكم عبد الله (١٠٢٢-١٠٤٥ م)، المظفر (١٠٤٥-١٠٦٥ م) ثم عمر المتوكل (١٠٦٥-١٠٩٤ م) تمتع هؤلاء بثقافة عالية وكانوا من رعاة الآداب والعلوم. كانت بينهم وبين بنو عباد حكام إشبيلية حروب انتهت باستيلاء الأخيرين على جزء كبير من مملكة بني الأفطس. أصبحوا في

أعني الملوك، إنما الغرض تعريف من تملك والترتيب على التاريخ، ثم أن ظهر يوسف بن تاشفين^(١٠٩) في أيام المعتمد بن عباد، وكان من أمرهما

نهاية أمرهم يؤدون الجزية إلى مملكة قشتالة إلى أن قضى عليهم الموحدون (راجع: الفنون والهندسة الإسلامية (Islam: Kunst und Architektur) لـ «ماركوس هاتشتاين» (Markus Hattstein).

^(١١٠) هو يوسف بن تاشفين بن إبراهيم بن ترقنت المصالي الصنهاجي اللمتوني الحميري. أبو يعقوب. أمير المسلمين وملك المثلثين، سلطان المغرب الأقصى، وباني مدينة (مراكش)، وأول من دعي بأمر المسلمين. أمه لمتونية حرة اسمها فاطمة بنت سير بن يحيى. ولد في صحراء المغرب، ولما شب ولاه عمه أبو بكر بن عمر اللمتوني إمارة البربر، وباعه أشياخ المرابطين وجال جولة في المغرب بجيش كبير فقوي أمره واستولى على فاس وغزا المغرب الأوسط (الجزائر) والأدنى (تونس) وأنشأ إمبراطورية مغربية تمتد فيما بين تونس والمحيط الأطلسي. وما بين البحر المتوسط وحدود السودان. دخل الأندلس لنصرة المعتمد بن عباد صاحب إشبيلية، وظفر في موقعة (الزلاقة) على جيوش قشتالة وليون التي كان يقودها الملك ألفونسو السادس سنة ٤٧٩ هـ وقد أيد في هذه الموقعة الحاسمة جيش ألفونسو ولم ينج ألفونسو نفسه، إلا بشق الأنفس. واسترد المسلمون بهذه الواقعة مدينة (بلنسية) وعادت إليهم السيادة على الجزيرة الخضراء. وقد وصف المعتمد بن عباد هذه الواقعة التي شارك فيها، وتسمى (يوم عروبة) بقصيدة يقول فيها مخاطباً ابن تاشفين ويوم العروبة ذدت العدا نصرت الهدى وأبيت الفرار ثبت هناك، إن القلوب بين الضلوع لتأبى القرار

ولولاك يا يوسف المتقي راينا الجزيرة للكفر دارا
 رأينا السيوف ضحى كالنجوم وكالليل ذاك الغبار المثارا
 فله درك في هولة لقد زاد بأسك فيه اشتهارا
 تزيد اجترأ إذا ما الرماح عند التناجز زدن اشتجارا
 كأنك تحسبها نرجسا تدير الذماء عليها عقارا
 تريك الرماح القدود انثناء وتجلو الصفائح الحدود أحمرارا
 إذا نار حربك ضرمتها حسبنا الأسنة فيها شرارا
 ستلقى فعالك يوم الحساب تنثر بالمسك منك انتشارا
 وللشهداء ثناء عليك بحسن مقامك ذاك النهارا

وأنتهم يستبشرون ألا تخاف وألا تضارا ويعتبر يوسف بن
 تاشفين بحق واحداً من عظماء المسلمين الذين جددوا للأمة أمر دينها ولم يأخذ حقه
 من الاهتمام التاريخي إلا قليلاً نشأ يوسف بن تاشفين في جنوب بلاد المغرب
 (موريتانيا حالياً) نشأة إيمانية جهادية، وأصله من قبائل «سنهاجة اللثام» ويقال بأنه
 حميري عربي وفي روايات أخرى بربري وشجعت مواقف ملوك الطوائف المخزنية
 أن يتحرك «ألفونسو السادس» ملك قشتالة في محاولة منه لالتهام حواضر الإسلام
 الأخرى، فتوالت غزواته، وراح يهدد سرقسطة وإشبيلية وبطليوس وغيرها من
 قواعد الأندلس، كان ذلك نذيراً.. فتحرك ما بقي من ضمايرهم، وتفتحت أعينهم
 على حقيقة جليلة، وهي أن ما أصاب طليطلة سيصيبهم، ولن تنفعهم معاهدات
 عقدوها مع ملك قشتالة، وأن مصيرهم إلى السقوط والهلاك ما لم يتداركوا
 مواقفهم، وتحدد كلمتهم وتجتمع على كلمة سواء. وأدرك «المعتمد بن عباد»

صاحب إشبيلية خطورة الموقف، وهو أشد ملوك الطوائف مسئولية عما حدث؛ لأنه
 كان بإمكانه نجدة طليطلة، ومد يد العون إليها، لكن غلّت يديه معاهدة مخزنية
 عقدها مع القشتاليين بمقتضاها يتعهد ملك قشتالة بمغاونة المعتمد ضد جيرانه من
 الأمراء المسلمين، وفي المقابل يتعهد المعتمد بأن يؤدي الجزية للملك قشتالة، وأن يطلق
 يده في أعماله العسكرية ضد طليطلة، دون أن يتدخل لوقف أعماله، وبعد سقوط
 طليطلة، بدأ ألفونسو ملك قشتالة يشدد في مطالبه المالية ويرهقه بالمزيد منها، بل إنه
 كاتبه يطالبه بتسليم بلاده، وينذره بسوء المصير، وبدأ بالفعل في اجتياح بلاده
 وتخريب مدنها وقراها. أجمع ملوك الطوائف على ضرورة الاستغاثة بيوسف بن
 تاشفين أمير دولة المرابطين المغربية وكانت دولة قوية بسطت نفوذها بالمغرب، وكان
 قد ذاع صيته، واشتهر أمر فتوحه في المغرب، وجبه للجهاد، وإقامته حكومة تقوم
 على العدل والقسطاس. وبدأ ملوك الطوائف يكتبون الأمير يوسف ويرسلون إليه
 الرسل، يستنصرون به على محاربة النصاري الذين اشتد سلطانهم، وتفتحت شهيتهم
 لالتهام الأندلس، ويصفون له حالهم وما ينتظرهم من خطر السقوط والفناء؛ إذ لم
 يبادر هو بإغاثةها ونصرها.

ولم تكن فكرة الاستنصار بالمرابطين تلقى إجماعاً بقبولها من قبل ملوك الطوائف، فقد
 كان هناك من يخشى مغبة هذه السياسة ويعارض قيامها، مخافة أن يطمع المرابطون
 في بلادهم فيلحقوها بدولتهم الفتية، غير أن «المعتمد بن عباد» حسم الموقف وأخذ
 الفتنة بمقولته المأثورة: «رعي الإبل خير من رعي الخنازير» يقصد بذلك أنه يفضل
 أن يكون أسيراً لدى أمير المرابطين يرعى له جماله من أن يكون أسيراً لدى ملك
 قشتالة. استجاب يوسف بن تاشفين لدعوة ملوك الطوائف، وأعد جيشاً عظيماً، عبر

به البحر المتوسط إلى الأندلس، فاستقبله أمراؤها، وسار بجيشه إلى إشبيلية حيث وافته جيوش الأندلس، وفي أثناء ذلك الوقت كان «ألفونسو» ملك قشتالة مشغولاً بمحاربة «ابن هود» أمير سرقسطة، فلما علم بخبر عبور المرابطين ترك محاربة ابن هود، وجمع جنداً من سائر الممالك النصرانية للقاء الجيوش الإسلامية، فالتقى الفريقان في سهل الزلاقة بالقرب من بطليوس، في معركة هائلة في (١٢ من رجب ٤٧٩ هـ: ٢٣ من أكتوبر ١٠٨٦ م)، ثبت فيها المسلمون وأبلوا بلاءً حسناً حتى أكرمهم الله بالنصر، وقتل معظم جيش القشتاليين، ومن نجا منهم وقع أسيراً، وفر ملكهم بصعوبة في بضع مئات من جنده جريحاً ذليلاً، وعاد يوسف بن تاشفين إلى المغرب متوجاً بتاج النصر والفخار، وملكاً بأمير المسلمين. كان هذا النصر عزيزاً، أعاد الثقة في نفوس الأندلسيين، واهتزت له مشاعر المسلمين فرحاً وطمحاً، ورد خطر القشتاليين عن الأندلس إلى حين بعد أن كانت على موعد مع الغناء والهلاك، وكتبت لها حياة جديدة، امتدت إلى أربعة قرون أخرى. لم يكد يستقر يوسف بن تاشفين في المغرب حتى عادت كتب الأندلسيين ووفودهم تترى عليه؛ طلباً لنجدتهم من القشتاليين الذين عاودوا التدخل في شئون شرقي الأندلس في بلنسية ومرسية ولورقة، فأجابهم إلى ذلك، وعبر بقواته إلى الأندلس في (ربيع الأول ٤٨١ هـ: يوليو ١٠٨٨ م) واتجهت مع القوات الأندلسية إلى حصن (ليبط)، وهو حصن أقامه القشتاليون بين «مرسية» ولورقة، ليكون قاعدة للإغارة على أراضي المسلمين في هذه المنطقة.

حاصرت القوات المتحدة هذا الحصن، وسلطت عليه آلات الحصار، وضربوه بشدة، لكنها لم تنجح في هدمه أو إحداث ثغرة ينفذ منها المسلمون؛ نظراً لمناعته

واستماتة المدافعين، ودام الحصار نحو أربعة أشهر دون جدوى، ففك يوسف بن تاشفين الحصار بعدما كبّد حامية الحصن خسارة كبيرة، وأهلك معظم رجاله حتى إن ملك قشتالة حين قدم الحصن لنجدته لم يجد فيه سوى مائة فارس وألف راجل (محارب من المشاة)، بعد أن كان يضم عند محاصرته ثلاثة عشر ألف مقاتل، ثم عاد يوسف إلى بلاده بعد ترك بعض قواته تحت إمرة خير قواده (سير بن أبي بكر اللمتوني).

شاهد أمير المرابطين عند عبوره إلى الأندلس ما عليه أمراؤها من فرقة وتنابد، وجنوح إلى الترف والبذخ، وميل إلى الدعة والراحة والعيش الناعم، في الوقت الذي يهملون فيه شئون رعيّتهم، ويتقاعدسون عن حماية دولتهم من خطر النصارى وتطلعهم إلى الاستيلاء على أرضهم، فاستقر في ذهنه ضرورة إزاحة هؤلاء الأمراء عن مواقعهم، وعزز من ذلك فتاوى كبار الفقهاء من المغرب والأندلس بوجوب خلع ملوك الطوائف، وانتزاع الأمر من أيديهم، وكان «أبو حامد الغزالي» و«أبو بكر الطرطوشي» على رأس القائلين بهذه الفتوى؛ وهو ما دعا أمير المرابطين إلى تنفيذ هذا الأمر، وكان لا يحب القيام بعمل إلا إذا كان متفقاً مع أحكام الشرع الحنيف.

عبر أمير المرابطين إلى الأندلس للمرة الثالثة بجيش ضخم في أوائل سنة (٤٨٣ هـ: ١٠٩٠ م) لتحقيق هذا الهدف، ومقاتلة النصارى، فاتجه بقواته إلى طليطلة، واجتاح في طريقه أراضي قشتالة دون أن يتقدم أحد من ملوك الطوائف لمعاونته أو السير معه، وكان يرغب في استرداد طليطلة لعله يشفى الجرح الدامي، لكنه لم ينجح نظراً لمناعة أسوارها العالية، فرجع بجيشه إلى إشبيلية وفي عزمه أن يستخلصها هي وغيرها من إمارات ملوك الطوائف بعد أن وقر في قلبه، وقامت عليه الأدلة إلى

ماكان، وابن تاشفين هذا من المثلثين، وهو من بر العدو، ثم أنه فتك في ملوك الأندلس من الطوائف وصنع ما صنع بالمعتمد، واستولي على جميعها، ولم يرسخ له ولا لأولاده في الملك قدم؛ لأن بني هود^(١٠٦) نازعوه

عودة ملوك الطوائف إلى عقد اتفاقات سرية مع ملك قشتالة، يتعهدون فيها بالامتناع عن معاونه المرابطين، والدخول في طاعة ألفونسو ملك قشتالة وحمايته. قسم أمير المرابطين قواته في أنحاء الأندلس، وبدأ هو بالاستيلاء على غرناطة، ودخلها في (العاشر من رجب ٤٨٣ هـ: سبتمبر ١٠٩٠ م) وأعلن على الناس أنه سوف يحكم بالعدل وفقاً لأحكام الشرع، وسيدافع عنهم، ويرفع عنهم سائر المغارم الجائرة، ولن يفرض عليهم من التكاليف إلا ما يبيحه الشرع الحنيف.

ثم بعث أمير المرابطين بقائده الكبير «سير بن أبي اللثمين» على رأس جيش كبير إلى إشبيلية، فتمكن من الاستيلاء على كثير من مدنها، ودخل المرابطون قرطبة في اليوم الثالث من صفر ٤٨٤ هـ: ٢٦ من مارس ١٠٩١ م، ثم تتابع سقوط مدن الأندلس في أيدي المرابطين ليبدأ عصر جديد في الأندلس.

^(١٠٦) هود: سلالة عربية من ملوك الطوائف في الأندلس، حكموا في سرقسطة ما بين ١٠٣٩-١١١٠ م. استولى مؤسس السلالة سليمان بن هود (١٠٣٩-١٠٤٦ م) على سرقسطة على حساب بنو حنّيب. قام خلفاؤه، أحمد الأول المقتدر (١٠٤٦-١٠٨١ م) ثم أحمد الثاني المستعين (١٠٨٥-١١١٠ م) بتشجيع حركة العمران (بناء الجعفرية). قاد بنو هود حركة المقاومة ضد أتباع الموحدين في الأندلس. مع سقوط سرقسطة في أيدي الموحدين سنة ١١١٠ فر عبد الملك (١١١٠-١١٣٦ م) إلى الرويضة. استمر فرع بني هود هناك في الحكم حتى حدود سنة ١١٤٦ م.

في شرف الملك^(١٠٧) وكان وياهم في سجال المنازعة لاحتاجات دولة عبد المؤمن بن علي^(١٠٨) وكان من أمره ما كان من القتل والأسر والأخذ، ولم

^(١٠٧) يرى الدكتور عبد الحميد عيسى أن هذه العبارة غير صحيحة لأنه في الوقت الذي كان فيه الأمير يوسف بن تاشفين يعمل على خلع ملوك الطوائف كان المستعين بالله أبو جعفر أحمد بن المؤمن بالله أبو الحجاج يوسف بن المقتدر بالله أبي جعفر بن المستعين بالله سليمان بن محمد بن هود الجذامي حاكم سرقسطة وأقسام واسعة من الشرق الأندلسي، يهاديه ويكاتبه وقال له في مكاتبه: نحن بينكم وبين العدو سد لا يصل اليكم منه ضرر ومناعين تطرف، وقد قنعنا بمسالتكم، فأقنعه من إلى ما نعينكم به من الذخائر، ووجه إليه ابنه عماد الدولة أبا مروان ابن عبد الملك فأجابه يوسف بن تاشفين إلى ما أراد (ابن عذاري، ج ٤، ص ١٤٤، وظلت سرقسطة مستقلة عن المرابطين إلى أن سقطت في يد النصارى من حكام أراجون في الرابع من رمضان عام ٥١٢ هـ / ١٩ ديسمبر ١١١٨) (أنظر عبد الحميد عيسى، كراسة في التاريخ الأندلسي، حاشية رقم ٩٢، ص ٣٨).

^(١٠٨) عبد المؤمن بن علي (٥٢٤-٥٥٨ هـ = ١١٣٠-١١٦٣ م: هو عبد المؤمن بن علي الكومي، أول خلفاء الموحدين بعد تأسيس دولتهم وكان يوحى إلى أتباعه أنه مؤيد من السماء واستطاع أن يورث هذا المنصب لأبنائه من بعده بحيث انحصر هذا المنصب في بني عبد المؤمن طيلة عمر دولة الموحدين (راجع: حسن علي حسن: الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس عصر المرابطين والموحدين، مكتبة الخانجي، ص ٦٨).

يتم له التمهيد لأنه كان محمد بن مردنيش^(١٠٩) في مشارق الأندلس وممالكها ثم تلا عبد المؤمن بن علي، يوسف بن عبدالرحمن^(١١٠) ومات في أيامه مردنيش وصفت له ولمن بعده من بنييه. وكان دار ملكهم مراكش محل عبد المؤمن بن علي، وولاتهم يترددون أمرهم في أقطار الأندلس وممالكها إلى انقراض دولتهم وزوال أمرهم بالمتوكل محمد بن هود من بني هود وهم ملوك سرقسطة فملك معظم الأندلس وسما بالسلطان، وكان ينازعه ريان بن مردنيش^(١١١) في مشارق الأندلس وبين هلال في طبرة وهي غرب الأندلس، ثم كثرت عليه خوارجها قريب إنقراضه وقتله وزيره الرميمي، وتلاشي^(١١٢) الأمر وملكوا بني الأحمر^(١١٣) وهم من أقاصي

^(١٠٩) هو الأمير محمد بن سعد بن أحمد بن مردنيش حاكم شرق الأندلس هُزم في معركة فحصى الجلاب جنوبي مرسية.

^(١١٠) يرى الدكتور عيسى أن الخبر غير صحيح لأن الذي أعقب الخليفة عبد المؤمن بن علي في خلافة الموحدين هو ابنه الخليفة الموحي أبو يعقوب يوسف بن عبد المؤمن بن علي (٥٥٨ / ١١٨٤ م - ٥٨٠ هـ / ١١٦٣ م).

^(١١١) هو أبو جميل ريان بن أبي الحملات مدافع بن يوسف بن سعد بن مردنيش الجذامي، جده أبو الحجاج يوسف بن سعد بن مردنيش أخو أمير شرق الأندلس محمد بن سعد بن مردنيش، ولقد ثار ضد ابن هود في أواخر عصر الموحدين شرق الأندلس (أنظر: عبد الحميد عيسى، الكراسه، حاشية رقم ١٠٠).

^(١١٢) في الأصل: تلاشا.

^(١١٣) سقطت الأندلس بعد هزيمتهم في موقعة الأندلس لكى يستولوا على بعض المدن الإسلامية من خلال زحف سريع انتهزاً الفرصة الفوضى التي أعقبت سقوط قرطبة وإشبيلية سنة (٦٤٦ هـ) وأصبح ملك المسلمين محصوراً في مقاطعة الأندلس إلى بنى نصر أمراء الأندلس وكون من جيشاً وبمساعدة بنو مرين في المغرب استطاع محمد بن الأحمر الاستيلاء على الأندلس. وقد تضافرت عدة عوامل أدت إلى تثبيت حكم بنى نصر في غرناطة مما ساعد في وجود قوة إسلامية كبيرة هناك وأيضاً معاونة بنو مرين في المغرب لبنى الأحمر في صراعهم ضد النصارى في المستنصر وكانت علاقته مع بنى مرين بالمغرب تتناوب بين الود والوحشة وكان الإسبان يستغلون فترات الجفاء ليغيروا على المواقع الإسلامية.

- (٦٧٨ هـ) هاجر النصارى مدينة الجزيرة الخضراء وكادوا إن يستولوا عليها. وشيد قصر الحمراء الفاخر الذي يعد آية في فن غرناطة محمد الرابع مستصرخاً ملك المغرب فأنجده وأرسل معه ابنه على رأس نجدة فأنقذ جبل الفتح وقتل السلطان محمد بين أحد أعدائه عند جبل الفتح في أواخر العام المذكور.

- في عام (٨٩٢ هـ) تولى الحكم أبو عبد الله محمد بن نصر آخر ملوك المسلمين في الأندلس إلى خيانة هذا الحاكم الذي باع كل المثل من أجل أطماع شخصية فحارب أباه من أجل الملك أنه أحس أن الأب يؤثر أخاه محمد بن سعد المعروف بالزغل عليه، وبينما اتحد النصارى الإسبان حدثت الخلافات والانشقاقات بين الأخوين ولما تولى محمد بن سعد الحكم قام أخاه أبو عبد الله بالتعاون مع الحاكم الصليبي فردينانز لإسقاطه حتى تم النصر للنصارى الإسبان على أخيه توجهوا إليه وسلبوا منه ملكه الذي ضيعه بخيائته وسقطت الأندلس بعد السقوط.

أقاصي الأندلس من غربها وغربها وكان ابتداء أمرهم في المائة السابعة، وكانوا يخطبون لصاحب أفريقية المتغلب عليها وهو أبو زكريا يحيى بن أبا محمد عبد الواحد^(١١٤) وإلى هنا تقلصت تلك الظلال، ودخل على الجزيرة الإنحلال ولم ينتظم أمرها ولا يعود إلى حال، وأستولت علي أكثرها النصاري.

وأما آل حمود من ولد إدريس بن عبد الله فلا زالت أعقابهم تستخلف الأعقاب وذريتهم في المغربين الأعلى والأسفل تدعا للأرياب، مع تصويب أحوال الملك وتصعيده وتقريبه وتبعيده إلى هذه الغاية سنة ١١٨٧ هـ وأظن لم يبق تحت أيديهم إلا المغرب الأقصى^(١١٥) في هذه المدة التي نحن فيها، وملوك الإدريسية في أفريقية وأشبيلية وأكثر نواحي الأندلس منهم والأكثر الآن قد غلب عليها الأفرنج نما يلي ديارهم وأما المشار إليه في التاريخ ومن أجله وضعه المؤلف^(١١٦) رحمه الله وهو ابن

^(١١٤) أبو زكريا يحيى بن أبا محمد بن عبد الواحد الحفصي، وقد استقر بحكم أفريقية سنة ٦٢٥ هـ.

^(١١٥) وهنا يشير المؤلف في الهامش قائلاً «والمغرب الأقصى هو المسمى الآن بالمغرب الجواني.

^(١١٦) في الأصل: المؤلف.

الخطيب^(١١٧) الملقب بلسان الدين فهو آخر كلام في المجلد الثاني لقصد ترتيبه ٥٥^(١١٨) الملوك أولاً، وإلا ما قسط في وضع التاريخ إلا من أجله

^(١١٧) ابن الخطيب (ت ٧٧٦ هـ / ١٣٧٤ م): محمد لسان الدين بن عبد الله بن سعيد مؤرخ وجغرافي وطبيب وأديب ووزير أندلسي. ولد قرب غرناطة في الأندلس عام ١٣١٣ م، واغتيل في سجن فاس بالمغرب عام ١٣٧٤ م. درس الفلسفة والطب والأدب والفقه في غرناطة، ثم دخل في خدمة سلطان غرناطة أبي الحجاج يوسف الثاني بن محمد الخامس بن الأحمر. وعمل مع الوزير أبي الحسن علي بن محمد بن الجلب الانصاري، فلما مات هذا في طاعون سنة ١٣٤٨ م حل ابن الخطيب محله في الوزارة. ولما عزل السلطان هرب معه ابن الخطيب إلى المغرب، واحتمى فيها بسلطان بني مرين، ثم عاد إلى الأندلس لما استعاد السلطان ملكه، وارتفع شأن ابن الخطيب، ولكنه اضطر إلى الفرار مرة أخرى إلى المغرب. وبعد مؤامرات وتديرات انتهت امره بأن سجن بتهمة الزندقة، وخنق في السجن بأمر خصمه الوزير سليمان بن داود. وكان من الساعين إلى هلاكه صديقه القديم أبو الحسن البناهي القاضي وتلميذ ابن الخطيب ابن زمرك الشاعر. وكان ابن الخطيب طموحاً إلى السلطان، جشعاً إلى المال، فجمع ثروة طائلة، ولكنه كان يثير عداوات الناس بسعيه وتديره المستمرين، وقد التقى بابن خلدون عندما زار هذا الأخير غرناطة، ولم تقم بين الرجلين صداقة، فغادر ابن خلدون الأندلس. وعلى الرغم من هذا النشاط السياسي الواسع، تمكن ابن الخطيب من تأليف كتب كثيرة في فنون عدة. وكان إلى جانب ذلك شاعراً له باع طويل في الشعر والنثر. ولكن شهرته الحقيقية ترجع إلى مؤلفاته في التاريخ، وإهمها (الاحاطة في اخبار غرناطة) الذي يؤرخ لعاصمة ملك بني نصر ولابنائها من الامراء والعلماء والادباء منذ قيام الأندلس. وكذا كتاب (أعمال

وهذا لسان الدين بن الخطيب مشهور مذكور مسموع في طبقات (الملوك والوزراء العلماء والأدباء والمؤلفين)^(١١٩)، وله كتب جملة فمن جملة ما ألف التاريخ المشهور بتاريخ الخطيب في بغداد وخلفا العباسية)^(١٢٠). بحيث أنه حاز فيه جميع أحوالهم وأمورهم ما لم يحوزه غيره.

والى هنا انتهت التعليقة هذه المراد بها تمهيد كتاب نفحة الطيب وبالله التوفيق يوم الخميس الموافق ٢٣ ذو القعدة سنة ١١٨٧ وصلي الله على سيدنا محمد وآله وسلم

(الاعلام). كذلك ألف ابن الخطيب (اللمحة البدرية في الدولة النصرية) وهو مختصر في تاريخ غرناطة. ويقال ان مؤلفات ابن الخطيب في شتى العلوم تربو على ستين مؤلفا، اذ قيل ان ابن الخطيب كان يقضي نهاره في الوزارة وليله في التأليف حتى لقب بذي العمرين. واهم هذه الكتب بعد ما ذكرنا (معيان الاختيار في ذكر المناهد والديار) و (خطرة الطيف في رحلة الشتاء والصيف) و (ريحانة الكتاب) و (السحر والشعراء) و (الكتيبة الكامنة في ادباء المائة الثامنة) و (التعريف بالمصطلح الشريف)^(١١٨) لم نقف على مغزاها.

في الأصل: المؤلفين.^(١١٩)

^(١٢٠) خلط المؤلف هنا بين لسان الدين ابن الخطيب صاحب الإحاطة في أخبار غرناطة وبين الخطيب البغدادي (ت ٤٦٣ هـ / ١٠٧٢ م) صاحب تاريخ بغداد وأصدرته المكتبة السلفية بالمدينة المنورة و صدر عن دار الكتب العلمية تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا ١٩٩٧.

قلت فمن أراد مطالعة التاريخ أمعن في هذه الكراس، فسهل عليه ضبطه، واصل التاريخ من أوله به تقديم وتأخير في القصص والروايات، لم يكن مرتب ترتيب محمود، وإنما يضفر بفائدته^(١٢١) من أمعن فيه وأما على البلد كله، فلا بد من الالتباس، ولكن الكراسة هذه المفيدة لهذا المعني بعض إفادة. (تم بحمد الله).

في الأصل: بفأيدته.^(١٢١)

الملاحق

(١)

قصيدة رثاء اشبيلية

لأبي البقاء الرندي^(١٢٢)

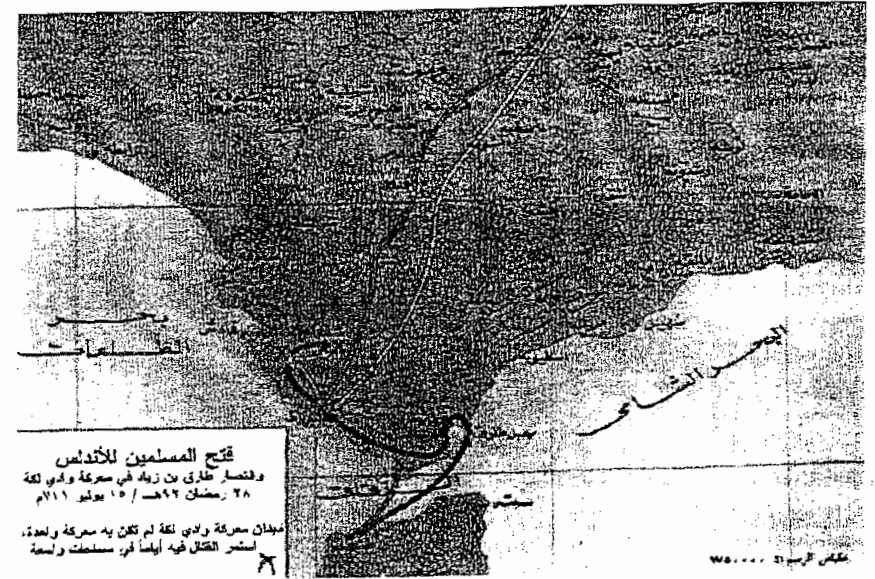
لكل شيء إذا ماتم نقصانُ فلا يُغَرُّ بطيب العيش إنسانُ
هي الأمور كما شاهدتها دُولُ مَنْ سَرَّهُ زَمَنٌ سَاءَتْهُ أزمانُ
وهذه السدار لا تُبقي على أحد ولا يدوم على حالٍ لها شانُ

^(١٢٢) أبو البقاء الرندي: ٦٨٤ - ٦٠١ هـ ١٢٨٥ - ١٢٠٤ م؛ هو صالح بن يزيد بن صالح بن شريف الرندي، أبو البقاء صالح بن يزيد بن صالح بن شريف الرندي، أبو البقاء.

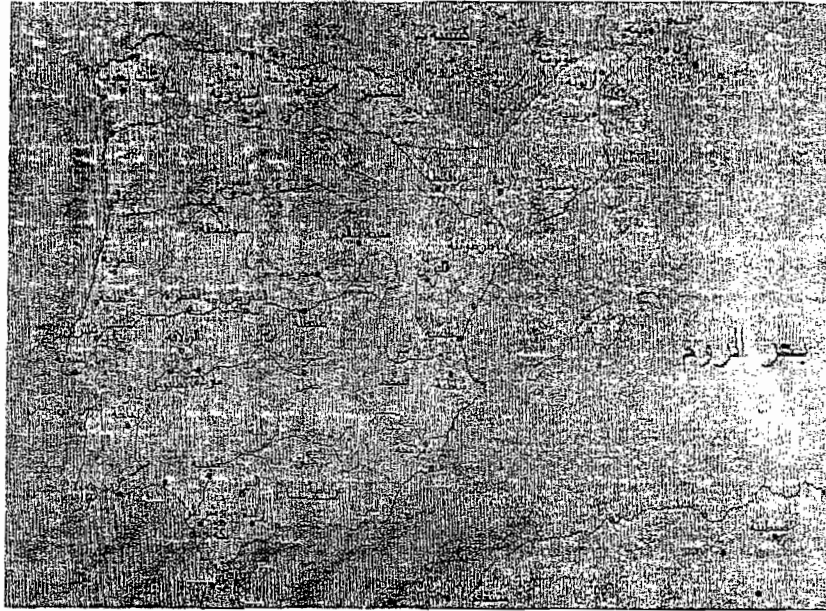
وتختلف كنيته بين أبي البقاء وأبي الطيب وهو مشهور في المشرق بأبي البقاء. وهو أديب شاعر ناقد قضى معظم أيامه في مدينة رندة واتصل ببلاط بني نصر ابن الأحمر في غرناطة وكان يقد عليهم ويمدحهم وينال جوائزهم وكان يفيد من مجالس علمائها ومن الاختلاط بأدبائها كما كان ينشدهم من شعره أيضاً. وقال عنه عبد الملك المراكشي في الذيل والتكملة كان خاتمة الأدباء في الأندلس بارع التصرف في منظوم الكلام ونثره فقيهاً حافظاً فرضياً له مقامات بديعة في أغراض شتى وكلامه نظماً ونثراً مدون.

يُمزق الدهر حثماً كل سابعة
ويتضي كل سيف للفناء ولو
أبن الملوك ذوو التيجان من يمن
وأبن ما شاده شداد في إرم
وأبن ما حازه قارون من ذهب
أتى على الكل أمر لا مرد له
وصار ما كان من ملك ومن ملك
دار الزمان على (دارا) وقاتله
كأنها الصعب لم يشهل له سبب
فجائع الدهر أنواع منوعة
وللخوادم شلوان يسهلها
دهى الجزيرة أمر لا عزاء له
أصابها العين في الإسلام فارتأت
فاسأل (بلنسية) ما شأن (مُرسية)
وأبن (قُربطبة) (دار العلوم فكم
وأبن (حمص) وما تحويه من نزه
قواعد كن أركان البلاد فما
تبكي الحنيفة البيضاء من ! ; أسف
على ديار من الإسلام خالية
حيث المساجد قد صارت كنائس ما

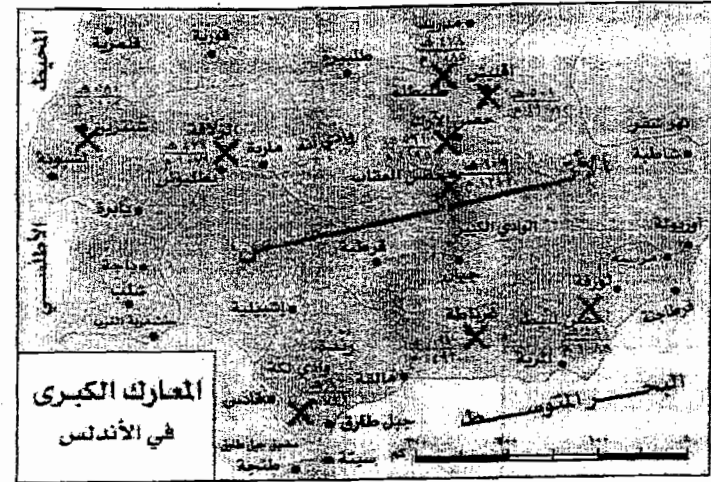
حتى المحارب تبكي وهي جامدة
يا غافلاً وله في الدهر موعظة
وما شياً مرحاً يلهمه موطنه
تلك المصيبة أنست ما تقدمها
يا راكبين عتاق الخيل ضامرة
وحاملين سيوف الهند مرهفة
وراعمين وراء البحر في دعة
أعندكم نبأ من أهل أندلس
كم يستغيث بنا المستضعفون وهم
ماذا التقاطع في الإسلام بينكم
ألا نفوس أبأت لها هم
يا من لذة قوم بعد عزهم
بالأمس كانوا ملوكاً في منازلهم
فلو تراهم حيارى لا دليل لهم
ولو رأيت بكاهم عند بيعهم
يا رب أم وطفل حيل بينهما
وطفلة مثل حسن الشمس إذ طلعت
يقودها العليج للمكروه مكرهة
مثل هذا يذوب القلب من كمد
حتى المنابر ترثي وهي عيدان
إن كتبت في سنة فالدهر يقظان
أبعد حص تغر المرء أوطان ؟
وما لها مع طول الدهر نسيان
كأنها في مجال السبق عقبان
كأنها في ظلام النقع نيران
لهم بأوطانهم عز وسلطان
فقد سرى بحديث القوم زكبان ؟
قتلى وأسرى فما يهتز لإنسان ؟
وأنتم يا عباد الله إخوان ؟
أما على الخير أنصار وأعوان
أحال حالهم جور وطمغان
واليوم هم في بلاد الكفر عبدان
عليهم من ثياب الذل ألوان
هالك الأمر واستهوتك أحزان
كما تفرق أرواح وأبدان
كأنها هي ياقوت ومرجان
والعين باكية والقلب حيران
إن كان في القلب إسلام وإيمان



فتح المسلمين للأندلس



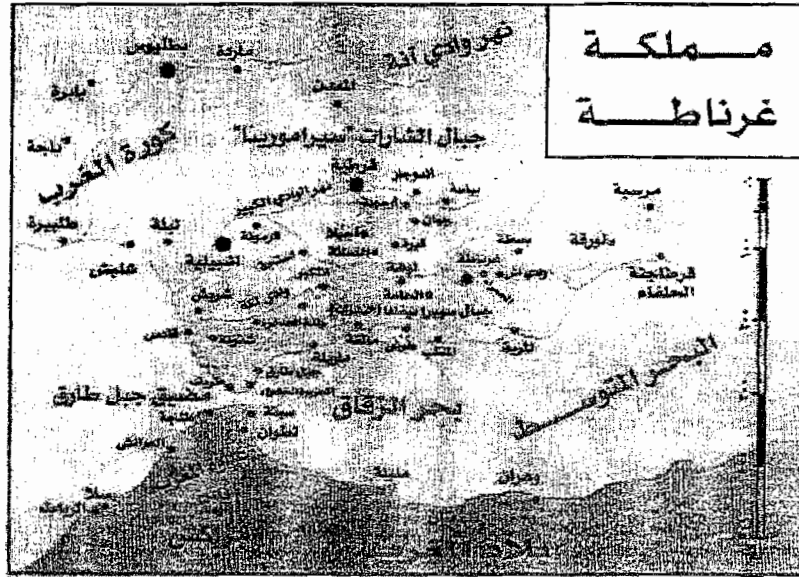
خريطة الأندلس



المعارك الكبرى في الأندلس

نقلاً عن أطلس التاريخ العربي الإسلامي

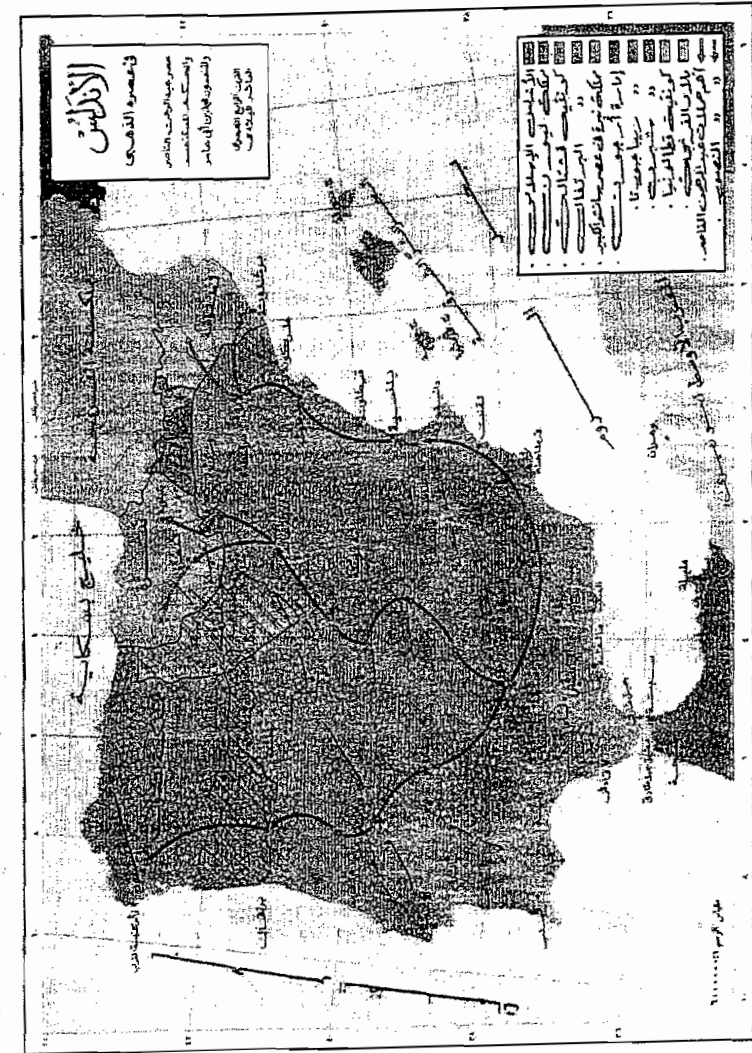
لشوقي أبو خليل



مملكة غرناطة

نقلاً عن أطلس التاريخ العربي الإسلامي

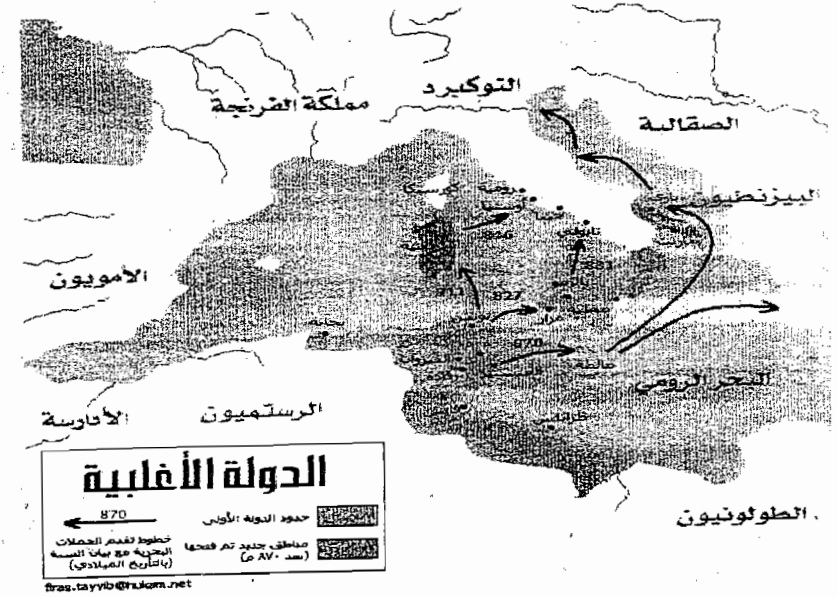
لشوقي أبو خليل



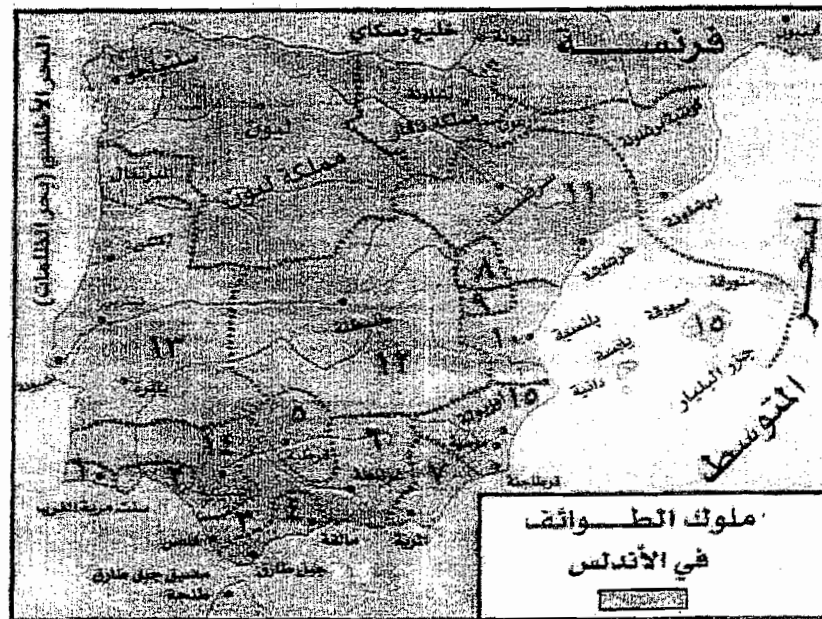
نقلاً عن أطلس تاريخ الإسلام لحسين مؤنس



الدولة الإدريسية



الدولة الأغلبية



ملوك الطوائف في الأندلس

نقلًا عن أطلس التاريخ العربي الاسلامي

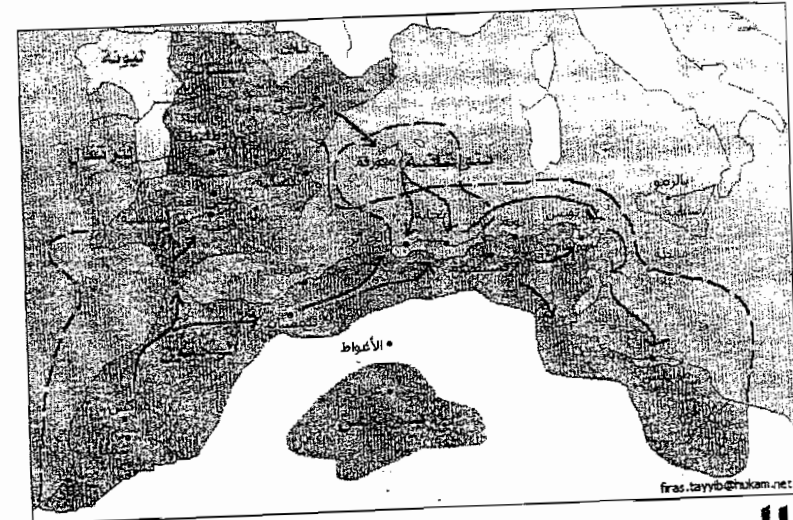
لشوقي أبو خليل



الحفصيون، الزيانيون والمرينيون

الأندلس وشمال إفريقيا بعد سقوط اللوحدين في مطلع القرن الرابع عشر للميلاد

حدود الدولة الحفصية الأولى	حدود الدولة الزيانية الأولى	خطوط تقدم المرينيين	دولة المرينية
فرع الحفصيين في تونس	دولة إفريقية	بنو نصر	بنو سليمان حتى 1300 م
فرع الحفصيين في بجاية	مناطق نفوذ المرينيين	مناطق نزاع	إمارة اللزاب بعد 1300 م

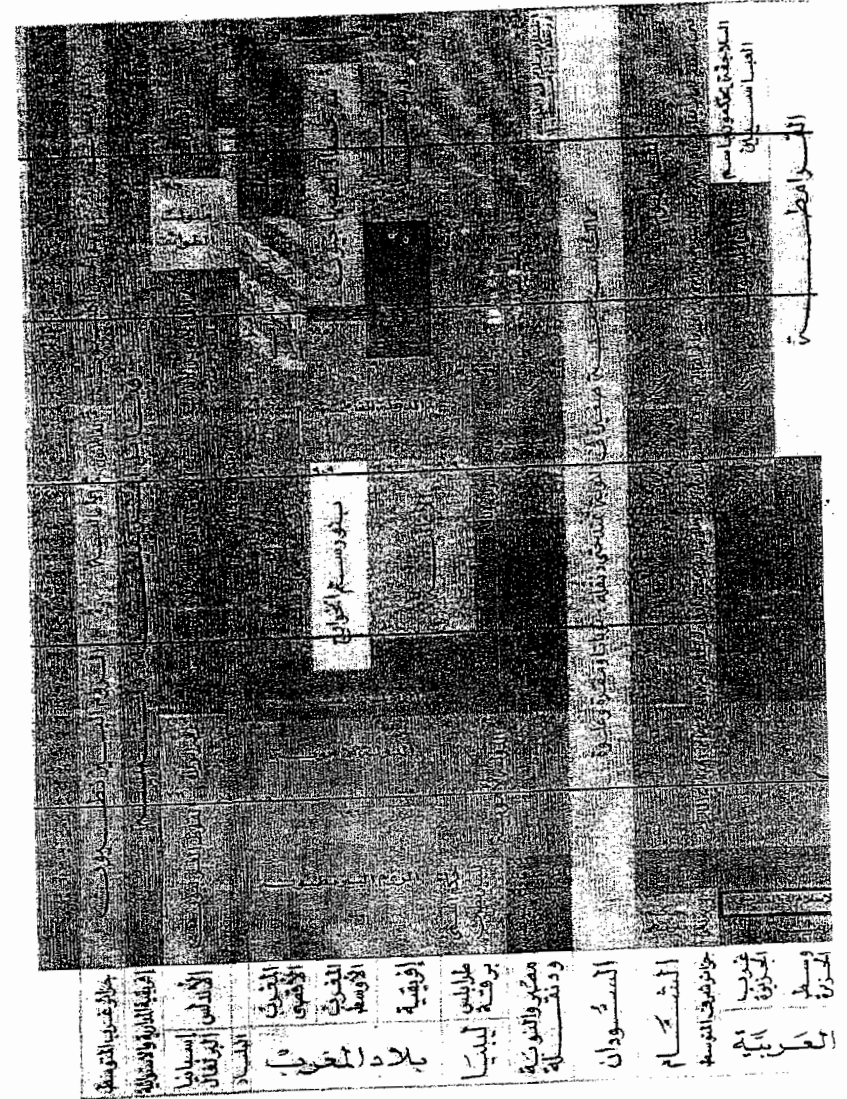


الموحدون و بنو غانية

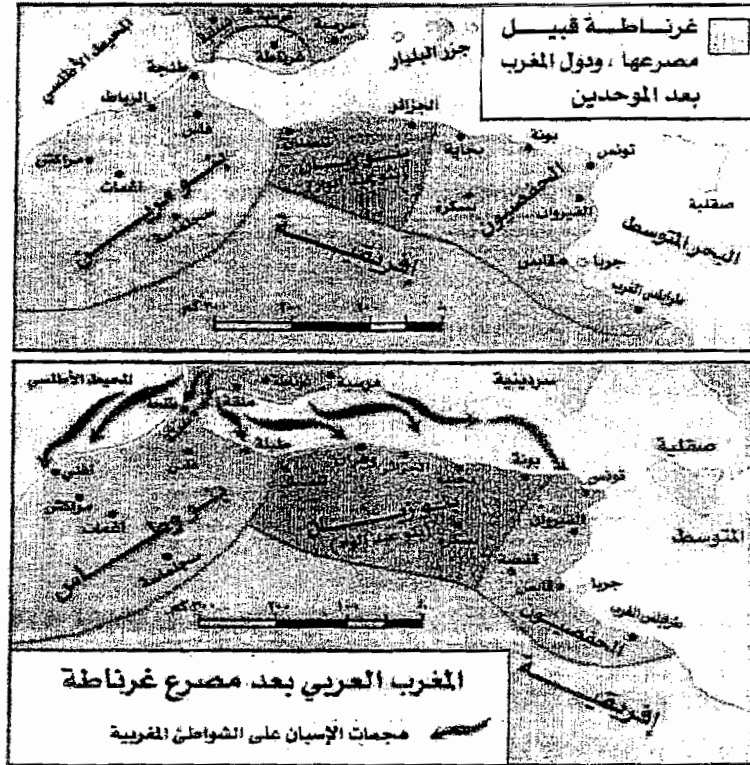
الصراع بين اللوحدين وبنو غانية في شمال إفريقية في القرن الثالث عشر للميلاد

مملكة قشتالة
مملكة الأراغون
النورمن
مملكة البرتغال
مملكة ليونة
الإبراهيميون

دولة بنو غانية في البليدار و شمال إفريقيا (حتى 1200 م)	دولة الموحدون حتى 1200 م
حدود دولة بنو غانية	حدود الدولة الموحدية بعد 1200 م

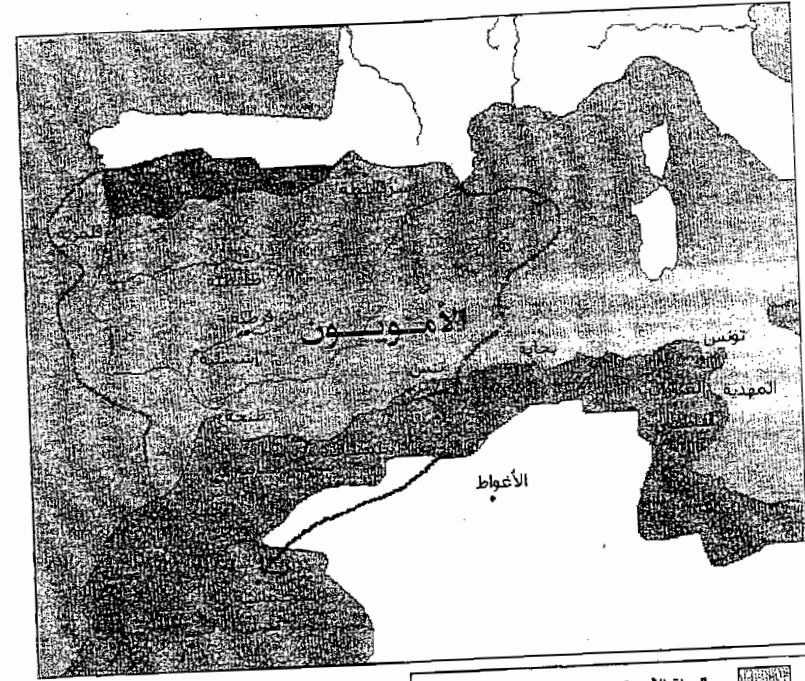


نقلاً عن أطلس تاريخ الإسلام لحسين مؤنس



نقلاً عن أطلس التاريخ العربي الاسلامي

لشوقي أبو خليل



الدولة الأموية حتى 850 م
الدولة الأموية حوالي 950 م
بنو أبي العافية من قبل الأمويين
بنو مدرار في سجلماسة حتى 977 م
برغواطة في تلمسان حتى 1078 م
الفاطميون

بيان بقواد وولادة وأمراء وخلفاء الأندلس

٧١٢	٧١١	طارق بن زياد
٧١٣	٧١٢	موسى بن نصير اللخمي
٧١٤	٧١٣	أبو عبد الرحمن بن موسى بن نصير
٧١٦	٧١٤	عبد العزيز بن موسى بن نصير
٧١٦	٧١٦	أيوب بن حبيب اللخمي
٧١٩	٧١٦	الحرب بن عبد الرحمن الثقفي
٧٢١	٧١٩	السمح بن مالك الخولاني
٧٢١	٧٢١	عبد الرحمن بن عبد الله الغافقي
٧٢٦	٧٢١	عنيسة بن سحيم الكلبي
٧٢٦	٧٢٦	عذرة بن عبد الله الفهري
٧٢٨	٧٢٦	يحيى بن سلمة الكلبي
٧٢٨	٧٢٨	حذيفة بن الأحوص القيسي
٧٢٩	٧٢٨	عثمان بن أبي نسعة الخثعمي
٧٣٠	٧٢٩	الهيثم بن عبيد الكناني
٧٣٠	٧٣٠	محمد بن عبد الملك الأشجعي
٧٣٢	٧٣٠	عبد الرحمن بن عبد الله الغافقي
٧٣٤	٧٣٢	عبد الملك بن قطن الفهري

عقبة بن الحجاج السلوي
عبد الملك بن قطن الفهري
بلج بن بشر القشيري
ثعلبة بن سلامة العاملي
الحسام بن ضرار الكلبي
ثوابة بن سلمة الجدامي
الصميل بن حاتم الكلبي
يوسف بن عبد الرحمن بن حبيب

٧٣٤ ٧٤٠
٧٤٠ ٧٤١
٧٤١ ٧٤٢
٧٤٢ ٧٤٣
٧٤٣ ٧٤٥
٧٤٥ ٧٤٦
٧٤٦ ٧٤٧
٧٤٧ ٧٥٦

الأمويون في الأندلس (الأمراء)

أبو المطرف «الداخل» عبد الرحمن بن معاوية
أبو الوليد «الرضي» هشام بن عبد الرحمن
أبو العاص «المرتضى» الحكم بن هشام
أبو المطرف «الناصر» عبد الرحمن (٢) بن الحكم
أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن (٢)
أبو الحكم المنذر بن محمد
أبو محمد عبد الله بن محمد
أبو المطرف «الناصر لدين الله» عبد الرحمن (٣) بن محمد
الأمويون (الخلفاء)
أبو المطرف «الناصر لدين الله» عبد الرحمن (٣) بن محمد
أبو المطرف «المستنصر بالله» الحكم بن عبد الرحمن
أبو الوليد «المؤيد بالله» هشام بن الحكم
الحجاب
--- جعفر بن عثمان المصحفي
--- أبو عامر «المنصور بالله» محمد بن عبد الله بن عامر
--- أبو مروان «المظفر» عبد الملك بن أبي عامر
--- أبو المطرف سنجول «المأمون» عبد الرحمن بن أبي عامر

الأمويون

«المهدي بالله» محمد بن هشام

١٠٠٦ ١٠٠٩

«المستعين بالله» سليمان بن الحكم

١٠٠٩ ١٠١٠

«المهدي بالله» محمد بن هشام

١٠١٠ ١٠١٠

أبو الوليد «المؤيد بالله» هشام بن الحكم

١٠١٠ ١٠١٣

«المستعين بالله» سليمان بن الحكم

١٠١٣ ١٠١٦

بنو حمود

«الناصر» علي بن حمود

١٠١٦ ١٠١٨

الأمويون

«المرتضى» عبد الرحمن بن محمد

١٠١٨ ١٠١٨

بنو حمود

«المأمون» القاسم بن حمود

١٠١٨ ١٠٢١

«المعتلي» يحيى بن علي

١٠٢١ ١٠٢٣

«المأمون» القاسم بن حمود

١٠٢٣ ١٠٢٣

الأمويون

«المستظهر بالله» عبد الرحمن بن هشام

١٠٢٣ ١٠٢٤

«المستكفي» محمد بن عبد الرحمن

١٠٢٤ ١٠٢٥

بنو حمود

«المعتلي» يحيى بن علي

١٠٢٥ ١٠٢٧

الأمويون

«المعتد بالله» هشام بن محمد

١٠٢٧ ١٠٣١

بنو جهور

أبو الحزم جهور بن محمد بن جهور

١٠٣١ ١٠٤٣

أبو الوليد محمد بن جهور

١٠٤٣ ١٠٥٨

عبد الملك بن محمد بن جهور

١٠٥٨ ١٠٦٩

بنو عباد

الظافر بن المعتمد

١٠٦٩ ١٠٦٩

عباد بن محمد

١٠٦٩ ١٠٧٥

العمال من قبل أمراء طليطلة

حيرز بن عكاشة

١٠٧٥

حكم بن عكاشة

١٠٧٨

بنو عباد

المأمون بن المعتمد

١٠٧٨ ١٠٩١

العمال من قبل أمراء المرابطين

أبو محمد مزدالي بن سلنكان

١٠٩١

أبو عبد الله بن أبي بكر اللمتوني

١١٠٧

محمد بن يونس

١١٠٧ ١١٠٩

أبو عبد الله محمد

١١٠٩ ١١١١

أبو محمد مزدالي بن سلنكان

١١١١ ١١١٥

محمد بن مزدالي

١١١٥ ١١١٥

أبو بكر بن يحيى بن تاشفين

١١١٥

أبو بكر يحيى بن رواد

١١٢٠ ١١٢١

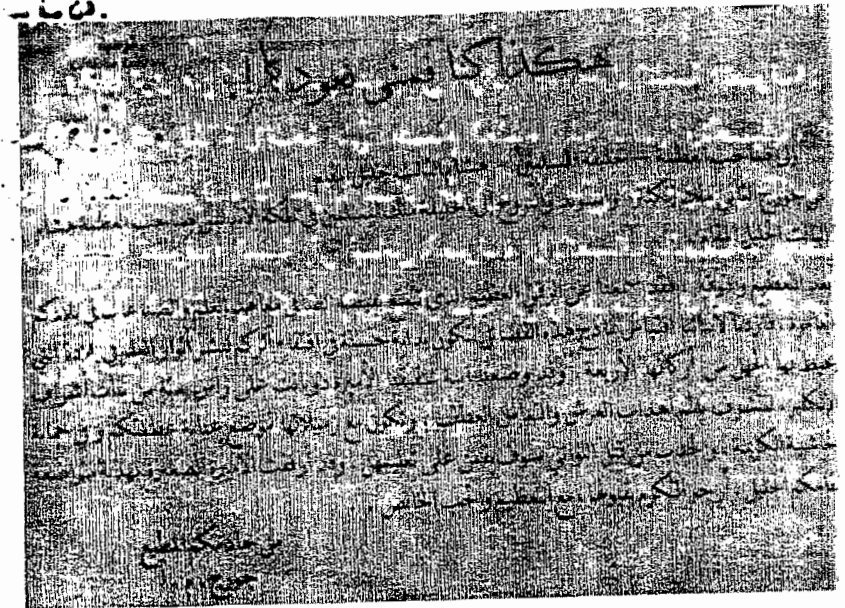
١١٢٥	١١٢١	تيم بن يوسف
١١٢٨	١١٢٥	أبو حفص بن سير
١١٢٨	١١٢٨	عبد الله بن محمد بن أسبغ
١١٢٨	١١٢٨	أشداي بن سير
١١٢٩	١١٢٨	أبو زيد تيكلمات
١١٣٢	١١٢٩	أبو محمد عبد الله بن تنغمر
١١٣٨	١١٣٢	تاشفين بن علي
١١٤٣	١١٣٨	أبو محمد الزبير
١١٤٦	١١٤٣	يحي بن غانية
		بنو حمدين
١١٤٦	١١٤٥	أبو جعفر المنصور أحمد بن محمد بن حمدين
		بنو هود
١١٤٦	١١٤٦	سيف الدولة أبو جعفر أحمد
		بنو حمدين مرة ثانية
١١٤٦	١١٤٦	أبو جعفر المنصور أحمد بن محمد بن حمدين
		بنو غانية
١١٤٧	١١٤٦	يحي بن غانية
		العمال من قبل أمراء الموحد
	١١٤٧	أبو حفص بن عبد المومن
١١٥٢	
١١٦٦	١١٥٢	أبو زيد بن بكيت

١١٧٠	١١٦٦	أبو إسحاق بن عبد المؤمن
١١٧٢	١١٧٠
	١١٧٢	أبو يعقوب بن عبد المؤمن
١١٨٢	١١٧٦	أبو الحسن بن عبد المؤمن
	١١٨٢	أبو يحيى بن أبي يوسف يعقوب
١٢١٤	
١٢٢٧	١٢١٤	أبو العلي بن يوسف بن عبد المؤمن
	١٢٢٧	أبو محمد «البياسي» بن أبي عبد الله محمد بن أبي حفص
		بن عبد المؤمن
١٢٣٠		أبو الربيع بن عبد الله بن عبد المؤمن
		العمال من قبل أمراء مرسية
١٢٣٢	١٢٣٠	عمال بني هود
		العمال من قبل أمراء أراجونة
١٢٣٢	١٢٣٢	عمال بني نصر
		العمال من قبل أمراء مرسية
١٢٣٦	١٢٣٢	عمال بني هود

المصادر والمراجع

أولا المصادر:-

- ابن الأبار: التكملة لكتاب الصلة، ج ١، تحقيق السيد عزت العطار، مطبعة دار السعادة بمصر ١٩٥٥.
- ابن بسلام: الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، ج ١، تحقيق سالم مصطفى البدرى، ط ١، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٩٨.
- ابن بسلام: الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تحقيق لطفي عبد البديع، الهيئة المصرية للكتاب ١٩٧٥، القسم الأول، المجلد ١.
- ابن بشكوال: الصلة، ج ١، تحقيق إبراهيم الأبياري، ط ١، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ١٩٨٩.
- ابن حزم: طوق الحمامة في الألفة والالاف، تحقيق الطاهر مكي، دار الهلال ١٩٩٤.
- ابن حزم: جمهرة أنساب العرب، دار المعارف.
- الحميدي: جذوة المقتبس، الدار المصرية للتأليف والترجمة ١٩٦٦.



- ابن حيان: المقتبس الثاني، طبعة فاكسيمية، مدريد ١٩٩٩ وهي محفوظة بمكتبة الأكاديمية الملكية للتاريخ بمدريد
- ابن الخطيب: أعمال الأعلام، تحقيق ليفي بروفنسال، ط ١، مكتبة الثقافة الدينية ٢٠٠٤
- ابن خلدون: المقدمة، تحقيق حامد احمد الطاهر ط ١، دار الفجر، القاهرة ٢٠٠٤
- ابن خلدون: العبر وديوان المبتدأ والخبر، ج ٤، ط ١، دار صادر بيروت ١٩٩٩
- ابن خلكان: وفيات الأعيان، جزء ٢، تحقيق إحسان عباس ط ١، دار صادر بيروت ١٩٩٨
- ابن خير: فهرست ابن خير، مكتبة الخانجي.
- ابن سعيد المغربي: المغرب في حلي المغرب، ج ١، تحقيق شوقي ضيف، ط ٤، دار المعارف، ١٩٩٩
- الضبي: بغية الملتبس، دار الكتاب العربي ١٩٦٧
- ابن عذاري: البيان المغرب، ج ٣، دار صادر بيروت ٢٠٠٠

- المراكشي: المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تحقيق محمد زينهم محمد عزب، دار الفرجاني للنشر والتوزيع، ١٩٩٤
- ابن القرضي:
- القلقشندي: صبح الأعشى في صناعة الانشاء، ج ٥، تحقيق فوزي محمد أمين، الهيئة العامة لقصور الثقافة ٢٠٠٥
- المقرئ: نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١، تحقيق إحسان عباس ط ١. دار صادر بيروت ١٩٦٨
- ثانيا المراجع العربية والمعرية:-
- إبراهيم بيضون: الدولة العربية في أسبانيا، ط ٣، دار النهضة العربية ١٩٨٦
- أحمد مختار العبادي: دراسات في تاريخ المغرب والأندلس، مؤسسة شباب الجامعة
- أحمد هيكل: الأدب الأندلسي، ط ١٠، دار المعارف ١٩٨٦
- السيد عزت العطار: مقدمة نشرته لكتاب تاريخ العلماء والرواة للعلم بالأندلس

- إسماعيل العربي: مقدمة نشرته لجزء من المقتبس، السفر الثالث، ط ١، دار الآفاق الجديدة، المغرب ١٩٩٠.
- أنخل بالينشيا: تاريخ الفكر الأندلسي، ترجمة حسين مؤنس، ط ١، مكتبة النهضة المصرية ١٩٥٥.
- إحسان عباس: تاريخ الأدب (عصر سيادة قرطبة)، دار الشروق، عمان - الأردن، ١٩٨٧.
- إحسان عباس: تاريخ الأدب الأندلسي «عصر الطوائف والمرابطين» دار الشروق للنشر، الأردن ١٩٩٧.
- السيد عبدالعزيز سالم: تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس، مؤسسة شباب الجامعة.
- الطاهر أحمد مكي: دراسات عن ابن حزم، ط ٤، دار المعارف ١٩٩٣.
- بروكلمان:
- حسين مؤنس: قرطبة، درة مدن أوروبا في العصور الوسطى، مجلة العربي، عدد ٩٥، أكتوبر ١٩٦٦.

- حسين مؤنس: الجغرافية والجغرافيين في الأندلس، مكتبة مدبولي، ط ٢، ١٩٨٦ م.
- خير الدين الزركلي: الأعلام، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٤ م.
- دوزي: المسلمون في الأندلس، ج ٢، حسن حبشي، الهيئة المصرية للكتاب ١٩٩٤.
- دوزي: ملوك الطوائف، ترجمة كامل كيلاني، ط ١، مكتبة عيسى الحلبي ١٩٣٣.
- شوقي ضيف: تاريخ الأدب العربي (عصر الدول والإمارات) الأندلس، ط ٣، دار المعارف ١٩٩٩.
- صلاح خالص: إشبيلية في القرن الخامس الهجري، دار الثقافة ١٩٦٥.
- عبد الحليم عويس: ابن حزم الأندلسي، ط ٢، الزهراء للإعلام العربي ١٩٩٨.
- عبد المحسن طه رمضان: الحروب الصليبية في الأندلس، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة.

- عبد الحميد العبادي: المجلد في تاريخ الأندلس، ط ٢، دار القلم ١٩٦٤
- عبدالله جمال الدين: من نصوص كتاب المتن، ط ١، المجلس الأعلى للثقافة ٢٠٠٢
- على أدهم: المعتمد بن عباد، الدار المصرية للتأليف والترجمة
- فؤاد إفرايم البستاني: دائرة المعارف «قاموس لكل فن ومطلب» المجلد ٢، ج ٢، بيروت، ١٩٥٨، مادة ابن حيان، ١٩٦٩
- لطفي عبد البديع، الإسلام في أسبانيا، ط ٢، مكتبة النهضة المصرية ١٩٦٩
- ليفي بروفنسال: تاريخ أسبانيا الإسلامية، ج ١، ترجمة على البمبي وآخرون، ط ٣، المجلس الأعلى للثقافة ٢٠٠٠
- ليفي بروفنسال: الحضارة العربية في أسبانيا، ترجمة الطاهر أحمد مكي، ط ٣، دار المعارف ١٩٩٤
- محمد عبدالله عنان: دولة الإسلام في الأندلس، ج ٢، الهيئة المصرية للكتاب ٢٠٠١
- محمد عبدالله عنان: تراجم اسلامية شرقية واندلسية-

- محمد أبو زهرة: ابن حزم، مجلة العربي، عدد ٥٨، أكتوبر ٢٠٠٤
- محمود على مكي: مقدمة نشرته لجزء من المقتبس، السفر الثاني، دار الكتاب العربي، ١٩٧٣
- محمود مكي: ابن حيان، أمير مؤرخي الأندلس، ندوة الجمعية التاريخية، ضمن محاضرات الموسم الثقافي لعام ٢٠٠٤
- محمود احمد الحفني: زرياب، الدار المصرية للتأليف والترجمة -
- مصطفى الشكعة: المغرب والأندلس، آفاق إسلامية وحضارة إنسانية، ط ١، دار العلم للملايين ١٩٨٧ -
- هنري بيرس: الشعر الأندلسي في عصر الطوائف، ترجمة الطاهر مكي، ط ١، دار المعارف، ١٩٩٠
- يوسف أشباخ: تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين، ج ١، ترجمة محمد عبدالله عنان، ط ٣، مكتبة الخانجي، ٢٠٠٢ م

ثالثا الدوريات:-

- دائرة معارف الشعب: عدد رقم ٦١ مطابع الشعب، ١٩٥٩
- دائرة معارف الشعب: عدد رقم ٦٤، سنة ١٩٥٩

- مجلة المناهل: العدد التاسع والعشرون، السنة الحادية عشرة، جمادى الثانية ١٤٠٤ هـ - مارس ١٩٨٤ م.

أعمال المؤلف ونشاطه العلمي

- ١- معجم مصطلحات التاريخ الإسلامي، مكتبة النهضة المصرية.
- ٢- كتاب زيارة جديدة للاستشراق، مكتبة الأنجلو المصرية.
- ٣- كتاب الطريق إلى صدام الحضارات، مكتبة الأنجلو المصرية.
- ٤- كتاب فن كتابة الأبحاث والرسائل الجامعية، مكتبة الفكر العربي.
- ٥- كتاب علم التاريخ واتجاهات تفسيره أمكتبة الأنجلو المصرية.
- ٦- قاموس المصطلحات التاريخية (انكليزي - عربي) مكتبة الأنجلو المصرية.
- ٧- موسوعة من خزانة التراث الإسلامي، مكتبة الثقافة الدينية.
- ٨- موسوعة تاريخ العالم (منذ توحيد القطرين وحتى أحداث ١١ سبتمبر)، (٣ أجزاء)، نشر اليكتروني، دار كتب عربية.

[http://www.kotobarabia.com/AdvancedResults.aspx?tit
&type=author&author=*&publisher=*&le=&subject=](http://www.kotobarabia.com/AdvancedResults.aspx?tit&type=author&author=*&publisher=*&le=&subject=)

- ٩- حاصل علي جائزة الاستاذ الدكتور عبد الحميد العبادي من الجمعية التاريخية.
- ١٠- تكريم من الدولة في عيد العلم أعوام ١٩٩٦-٢٠٠٤-٢٠٠٥.
- ١١- مشرف تنفيذي لمشروع تطوير قدرات أعضاء هيئة التدريس بجامعة عين شمس.
- ١٢- مقرر سمينار التاريخ الإسلامي والوسيط بكلية التربية - جامعة عين شمس.
- ١٣- عضو الجمعية المصرية للدراسات التاريخية.

التدريب والدورات:-

- دورة أساليب البحث العلمي ضمن مشروع تنمية قدرات أعضاء هيئة التدريس والقيادات جامعة عين شمس. عام ٢٠٠٤م.
- دورة مهارات التفكير ضمن مشروع تنمية قدرات أعضاء هيئة التدريس والقيادات جامعة عين شمس عام ٢٠٠٤م.
- دورة أخلاقيات وآداب المهنة ضمن مشروع تنمية قدرات أعضاء هيئة التدريس والقيادات جامعة عين شمس عام ٢٠٠٤م.

- دورة التدريس الفعال ضمن مشروع تنمية قدرات أعضاء هيئة التدريس والقيادات جامعة عين شمس عام ٢٠٠٤م.
- دورة التعلم الفعال ضمن مشروع تطوير كليات التربية عام ٢٠٠٥م.
- دورة تدريب المشرفين التنفيذيين ضمن مشروع تنمية قدرات أعضاء هيئة التدريس والقيادات جامعة عين شمس عام ٢٠٠٦م.

الفهرس

- الإهداء..... ٢
- لماذا هذا الكتاب؟..... ٣
- وصف المخطوط..... ٣
- مؤلف المخطوط..... ٤
- الغرض من المخطوط..... ٦
- فائدة المخطوط..... ٧
- الملاحق..... ١٠٣
- المراجع..... ١٢٧
- أعمال المؤلف ونشاطه العلمي..... ١٣٥